شعر المعارضة السياسية في العصر العباسي
دعبل نموذج للمعارضة السياسية

بقلم الدكتـــــور محمد أحمد النهـــارى
المـــدرس فـــي قســـم اللغــة العربية

مدخل

تشكل السلطة مع المعارضة ثنائياً ضرورياً لأستمرار الحياة السياسية في مجتمعات أخذت حظاً من التقدم الاجتماعي . وفي المجتمعات التي تتجذر فيها المؤسسات القائمة على أساس عدم الفصل بين السلطات من ناحية ، والتى تصدر عن فهم ديماجوجي للحكم من ناحية ثانية ، تحاول أن تتعامل مع الصوت المعارض تعاملاً قهرياً مما يؤسس علاقة تصادمية على نحو موصول .

كان العباسيون والعلويون طرفاً معارضاً لخلافة بني أمية . ولقد اتخذت هذه المعارضة صوراً شتى من بينها المواجهة المتمثلة بالثورات المسلحة التي كانت تخرج بين فينة وأخرى ، بغية الاطاحة بالحكم الأموي . ولقد استطاع المعارضون بالفعل عبر أساليب شتى هز هذه الدولة التي كانت تطمح في ارساء دعائم قوية لامبراطورية ناهضة . وأخيراً احتل العباسيون مقعد الحكم ، بينما تخلف العلويون ، اذ سقطوا كما سقط سلفهم من قبل في شرك التآمر والخذلان .

قامت الدولة العباسية بأتباع سياسيتين رشيدتين كان لهم أعظم الأثر في ايجاد خلافتهم ، التنظيم ، والسرية ، وهما كفيلان بنجح أي مخطط سياسي على مر العصور . واذا علمنا أن سياسة العباسيين ، بالمشاركة مع أبناء عمومتهم العلويين ، وبدعم واضح من الخراسانيين قد حققت انتصاراً توج باقامة خلافة عباسية استمرت زهاء بضعة قرون ، فان العلويين ومن تعاطف معهم اعتبروا هذه الخلافة غير شرعية ، ليس لأن العباسيين نقضوا روح صيغة الائتلاف : (الرضا من آل محمد) ، وهي صيغة غير منظبطة في الأساس ، فحسب ، ولكن

لأن العلويين يحسبون أن الأمويين صادروا الخلافة عليهم ، وأن هذا الجهاد الدؤوب الذي استمر سنوات طوالاً ليس الا في سبيل ارجاع الخلافة الى أهلها الحقيقيين : أبناء علي . واذ ينكر العباسيون هذا الحق ، فان على الطرف الآخر الذي يدعيه أن يعمد الى ما أمكنه من وسائل في سبيل التمكن منه .

شهادة تاريخية

يذكر الطبري أن الخراسانيين بعد أن أعلنوا قيام الدولة ، بالطبع لم يحدد اسمها الرسمي بعد، هذه الدولة التي دالت للرضا من آل محمد من الأمويين قاموا بمراسلة أحفاد علي في المدينة المنورة كي يقدموا الى العراق لتسلم مقاليد الحكم ، فيتقاعس العلويون ، ويفطن العباسيون للمؤامرة ، فيبادروا لاعلان الخلافة باسمهم ، عازمين على التخلص من أخطر عدوين بدأ يلوحان في الأفق مهدداً كيانهم الجديد ، أبي سلمة الخلال ، وأبي مسلم الخرساني . ومن المفارقة أن يكون هذان الرجلان من الذين أخلصوا في سبيل اقامة الخلافة الوليدة ، اذ يمنح الخلال اعترافاً بدوره العظيم لقب (وزير آل البيت) .

ولعل هذه القصة تفتح أمامنا نوافذ كثيرة ، بغية الوقوف على دلالات يمكن أن نتعرف من خلالها على الهدف الحقيقي من مناصرة الخراسانيين المعارضين للحكم الأموي . فالذي يبديه السياق أن الفرس قد استغلوا التعاطف الشعبي مع الرضا من آل محمد ليحققوا هدفاً مبيتاً هو اقامة الدولة الفارسية على أنقاض الدولة الأموية التي راهنت على العنصر العربي حتى النهاية ، مراهنة كانت سبباً بارزاً من أسباب سقوطها . (*) وليس توجيه أبي مسلم الخراساني (بقتل كل من كان يتكلم العربية بخراسان) الا بداية لتنفيذ المخطط الذي ذهب ضحيته أبو مسلم عندما هم باعلان الانفصال عن الخلافة العباسية ، لولا أن المنصور استدرجه ، حتى اذا ما قدم عليه قتله بعد أن وبخه توبيخاً شديداً على ما كان عزم عليه(١). وعندما عاتب عيسى بن موسى أبا جعفر لقتله أبا مسلم ، سخر منه بعبارة توضح أن الذي لف بالبساط انما كان يمكر بأبناء البيت العباسي : (يا أنوك ؛ والله ما أعلم في الأرض عدواً أعدى لك منه ؟ ... خلع الله قلبك ؛ وهل كان لكم ملك أو سلطان أو أمر أو نهي مع أبي مسلم !) (٢)

مسار البحث

ان رصد الفن الشعري على طريق معارضته السلطة العباسية موضوع كاف لانجاز مجلد ضخم يمكن أن يقدم لنيل احدى شهادات الدراسات العليا . ولهذا فاني سأحاول أن أعرض لبعض النصوص الشعرية ، مرتبطة بسياقها التاريخي ، ذلك الذي يشكل أهم أحداث المعارضة السياسية في هذا العصر ، كاشفاً – وهذا هو المهم – عن الناحية الفنية في هذه النصوص . وسوف أقف عند دعبل الخزاعي باعتباره نموذجاً للمعارضة على امتداد العصر العباسي .

الموضوع

ما أن يعلن أبو العباس السفاح قيام الخلافة العباسية حتى يبدأ الصراع الحقيقي على السلطة. ونلحظ أن الصراع بداية الأمر بدأ داخل الأسرة . فلقد تخلص أبو جعفر المنصور من عمه عبدا لله بن علي الذي طمع في الخلافة ، معتقداً أنه وفى بالشرط الذي عقده مع أبي جعفر المنصور ، وهو أن يكون ولياً لعهده اذا انتصر على مروان بن محمد (الحمار) . ولم يكن هذا الاستهلال الا فاتحة لسلسلة من الصراع داخل البيت العباسي . ويبدو أن تصفية الخطر في الداخل أولاً سياسة لاقت قبولاً من الخلفاء العباسيين حتى نهاية العصر العباسي .

لم يكن موضوع التصفية مقصوراً على الأسرة العباسية وحسب وانما طال الأعوان من القادة والوزراء . ولعل أبرز هؤلاء أبو سلمة الخلال وزير آل البيت ، وأبو مسلم الخراساني ؛ اذ سفك كثيراً من الدماء في سبيل اقامة دولة آل البيت ، فجرع من ذات الكاس على يد أبي جعفر المنصور الذي شفى غليله بقتله قائلاً:

زعمت أن الدين لاينقضـــي   فاستوف بالكيل أبا مجرم

سقيت كاساً كنت تسقي بها   أمر في الحلق من العلقم (٣)

ان بامكاننا رصد المعارضة السياسية شعراً من خلال محورين اثنين ، الأول محور التعريض بالحاكمين ، الثاني التنديد المباشر .

١- التعريض بالحاكمين

أشرنا فيما سبق الى أن العباسيين استهلوا عهدهم استهلالاً سيئاً اذ عمدوا الى التخلص من بعض الأشخاص من الذين توسموا فيهم الخطر وأدركوا ببصيرة نافذة أنه لا استقرار لخلافتهم ما دام هؤلاء أحياء . فكان لابد للشعر أن يرصد هذه الضاهرة بصياغة تقترب من السخرية الناتجة عن هذه الدهشة التي انتابت المجتمع . فأول ما يلقانا في هذا السياق غموض ذكر اسم الشاعر غالبا ، وهو أمر يعبر عن طبيعة العلاقة بين الحاكم وبين المحكوم ، وهي طبيعة قلقة متوترة مما يجعل أي قول ينتقد فعل السلطة مغامرة غير محسوبة !!

عندما يتوج السفاح خليفة استوزر(أبا سلمة الخلال وقد كان - يحسب الفخري - سمحاً كريماً مطعاماً كثير البذل مشغوفاً بالتنوق في السلاح والدواب ، فصيحاً عالماً بالأخبار والأشعار والسير والجدل والتفسير ، حاضر الحجة ذا يسار ومروءة ظاهرة) (٤).

غير أن هذا الوزير كان ينوي ، كما سبق، نقل الخلافة عن العباسيين ، فأوعز السفاح الى أبي مسلم الذي ربما كان يريد أن يستأثر بهذه المهمة فقتله ، فردد الناس هذا الشعر :

ان الوزير وزير آل محمد أودى فمن يشناك كان وزيرا
ان السلامة قد تبين وربما كان السرور بما كرهت جديرا

فالوزير يصبح معرضاً للموت حتى قيل (ان كل من استوزر بعد أبي سلمة كان يتجنب أن يسمى وزيراً ، نظيراً مما جرى على أبي سلمة ولقول من قال) (٥) البيتين السابقين ويطال الموت أبا أيوب المورياني ، الذي خان المنصور في المال فقال ابن حبيبات الشاعر الكوفي في ذلك :

قد وجدنا الملوك تحسد من أعطيته طوعاً أزمة التدبيـــــر
فاذا ما أرادوا له النهي والأمـــر أتوه من يأسهم بنكـــير
شرب الكأس بعد حفص سليمـان ودارت عليه كف المديـــر
ونجا خالد بن برمك منهــــا اذ دعوه من بعدها بالأمير
أسوأ العالمين خلا لديهـــم من تسمى بكاتب أو وزير (٦)

فالشاعر يرجع سبب قتل هؤلاء المقربين الى الحسد ، حينما يشعرون بأن التدبير قد خرج من أيديهم . ويؤكد الشاعر هذه العلاقة بين الحاكمين بأنها أصبحت عادة ؛ فيقرر أن

الشقوة مكتوبة على من تسمى وزيراً أو كاتباً لدى خلفاء بني العباس . غير أن التعاطف الشعبي يبلغ مداه عندما يستحر القتل في العلويين من قبل أبناء عمومتهم العباسيين ، فهم الذين يقضون مضاجع الحاكمين لاصرارهم على أن العلويين غير جديرين بالخلافة لانها ارث العباسيين ، فما كان جواب هذه الدعوى الا اعمال السيف في رقاب الأسرة العلوية. يحكي الطبري أنه (لما بلغ أبا جعفر ظهور [محمد بن عبدا لله بن الحسن] أشفق فيه فجعل الحارث المنجم يقول له يا أمير المؤمنين ، ما يجزعنك منه ! فو ا لله لو ملك الأرض ما لبث الاتسعين يوماً)(٧) فكان على أبي جعفر أن يهدده بكتاب يتوعده بالقتل ان هو استمرأ الخروج ، موضحاً بكتابه هذا أن الخلافة من حق العباسيين ، عارضاً عليه حياة كريمة له ولأسرته . فرد عليه محمد بن عبدا لله بن الحسن كتابه بلهجة قوية تقيم الحجة من طرق مختلفة ، فأرسل اليه أبو جعفر كتاباً يدحض فيه حجته (٨) ولم تستمر المراسلة طويلاً فلقد سير المنصور جيشاً لقتاله فكان أن ظفر به فقتله ، بعد أن قاتل العباسيين بمن معه قتالاً عنيفاً. فأرسل الشعراء قرائحهم يرثون النفس الزكية رثاءاً حزيناً يتضمن معارضته الحاكمين القاتلين للعلويين ، فيقول ابن مصعب بن ثابت بن عبدا لله بن الزبير فيهم

وا لله ما ولد الحواضن مثلهم — أمضى وأرفع محتداً ومكانا
وأشدنا هضة وأقول للتي — تنفي مصادر عدلها البهتانا
فهناك لو فقأت غير مشوة — عينيك من جزع عزرت علانا
رزء لعمرك لو يصاب بمثله — مبطان صدع رزءه مبطانا (٩)

ويقول في موضع آخر يرثي بني حسن ويندد بالعباسيين :

أضحى بنو حسن أبيح حريمهم — فينا وأصبح نهبهم مقتسما
ونساؤهم في دورهن نوائح — سجع الحمام اذا الحمام ترنما
يتوسلون بقتله ويرونه — شرفاً لهم عند الامام ومغنما
وا لله لو شهد النبي محمد — صلى الاله على النبي وسلما
اشراع أمته الاسنة لابنه — حتى تقطر من ظباتهم دما
حقاً لأيقن أنهم قد ضيعوا — تلك القرابة واستحلوا المحرما(١٠)

ويذكر شاعر آخر العلوي المقتول ويصف نضال الشهداء الذين قاتلوا معه بقوله :

رحم الله شباباً قاتلوا يوم الثنية

قاتلوا عنه بنيات وأحساب نقية

فر عنه الناس طراً غير خيل أسدية

وزاد الناس على قول الشاعر :

قتل الرحمن عيسى   قاتل النفس الزكية (١١)

واذا كان المنصور قد نكل بالعلويين وشرد بهم من خلفهم فان ابنه المهدي يواصل هذا التنكيل والتشريد ، فيقتل الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب ومن معه (وأقاموا ثلاثة أيام لم يواروا حتى أكلهم السباع والطير) (١٢) فردد الناس شعراً لمجهول قال :

فلأبكين على الحسين   لعولة وعلى الحسن

وعلى ابن عاتكة الذي   أثووه ليس له كفن

تركوا بفخ غدوة   في غير منزلة الوطن

كانوا كراماً قتلوا   لا لما ئشين ولا جبن

غسلوا المذلة عنهم   فلهم على الناس المنن (١٣)

ويستمر الفتك بالخارجين من العلويين وغير الخارجين مما جعل الشعراء يصورون هذا المصاب هذا التصوير المأساوي :

أصبح آل الرسول أحمد في   الناس كذي عرة به جرب

بؤسالهم ما خبث أكفهم   وأي حبل من أمة قضبوا

وأي عهد خانوا الاله به   شد بميثاق عقدة الكذب (١٤)

فهكذا يحاول الشعر تصوير ما حل بالعلويين بأنه النيل من الرسول عليه الصلاة والسلام وهتك لحرمه كقول بعضهم :

وثبت نتيلة وثبة بعلوجها   كانت على سلفى نتيلة عارا

فتصلمت ساداتها وتهتكت   حرما محصنة الخدور كبارا

ولغت دماء بني النبي فأصبحت   خضبت بها الأشداق والأظفارا (١٥)

ان هذه الصورة تجسد هذه الوحشية ؛ فالعباسيون يلغون كما تلغ أكلات اللحوم في الدماء الطاهرة .

ان الأشعار التي صيغت للتنديد بالعباسيين لتنكيلهم بالعلويين كثيرة اذ لا يتسع المجال لسردها . غير أنه ينبرى بعض خلصاء البلاط من الشعراء للتنديد بهذا التنكيل مما يدل ان حقد العباسيين على العلويين كان عميقاً . فهذا هو منصور النمري يقف موقفاً انسانياً من هذه السيرة الذاتية للحكام في اطار الفتك بالمعارضة بحق وبغير حق ليدوي بهذا الصوت الصارخ :

شاء من الناس راتع هامـــل	يعللون النفوس بالباطـــل
تقتل ذرية النبي ويـــــر	جون جنان الخلد للقاتـــل
ويلك ياقاتل الحسين لقـــد	نؤت بحمل ينوء بالحامـــل
بأي وجه تلقى النبي وقـــد	دخلت في قتله مع الداخـل
هلم فاطلب غداً شفاعتـــه	أو لا فرد حوضه مع الناهل
ما الشك عندي في حال قاتله	لكنني أشك في الخـــاذل
نفسي فداء الحسين حين غدا	الى المنايا غدو لا قافـــل
وعاذلي أنني أحب بني أحمـــد	فالترب في فم العـــاذل
قد ذقت ما دينكم عليـــه	وما الجافل لآل النبي كالواصل
مظلومة والنبي والدهـــا	قرير أرجاء مقلة حافـــل
الا مصاليت يغضبون لهـــا	بسلة البيض والقنا الذابـــل (١٦)

لم يكن هذا الشاعر الا منصور النمري الذي قربه الخليفة الرشيد وأدناه كشاعر أثير اذ سبق أن قال فيه :

أي أمرىء بات من هارون في سخط	فليس بالصلوات الخمس ينتفع
ان المكارم والمعروف أوديـــة	أحلك الله منها حيث تتسع (١٧)

كان على الشاعر النمري أن يميز بين موقفين ، موقف الشاعر المتكسب الذي يجد تحقيق مصلحته في قول متزلف يبلغ به أمنية دنيا ، وموقف انساني تتحقق فيه آدميته وهو يعلم أن أي صوت معارض للسلطة سيكون ثمنه غالياً ، مهما كان هذا الصوت خفيضاً . أما هذا

الصوت الذي دوى في مجال فضائي عريض ، فانه يكلف قائله ثمناً يقدر الحاكم كم يكون . وبدهي أن يصدر هذا الحاكم أمراً بأن يسل لسان الشاعر من قفاه ، غير ان الحظ لم يسعد الرشيد فقد كان الموت أسرع وحاول الخليفة أن ينبش القبر لتنفيذ الأمر لولا أن الفضل بن الربيع تلطف له حتى كف عنه .

في النص السابق نجد صدق العاطفة ووضوح الفكرة وواقعية الوصف . لقد ذكر الشاعر بمقتل الحسين ، وحين يذكر الحسين مقتولاً بقصائد التنديد ، فانما بغرض الوصول الى أقصى اثارة ممكنة ، اذ كانت قتلته نقطة تحول بارزة في سيرة شهوة السلطة ، فالحسين (مثير) بلغة علم النفس ، يقوم بدور تحريضي أكثر فعالية . ولم يقف الشاعر عند هذا الحد من تصوير ما حل بالعلويين ، فلقد قام يعقد هذه المقارنة بين حالتين ، حالة آل الرسول ، وحالة النصارى واليهود من أهل الذمة ، أولئك الذين يعيشون في ظلال الخلافة العباسية فيقول :

آل الرسول ومن يحبهـــم   يتطامنون مخافة القتـــل
أمن النصارى واليهود وهم   من أمة التوحيد في أزل (١٨)

في هذا التصوير الحركي الجميل تأخذ المرء الدهشة من يطال الذل والهوان آل الرسول حتى أنهم يتطامنون ولا يستطيعون رفع رؤوسهم ، بينما النصارى واليهود يسعدون بحرية عريضة ، انهم في نظر العباسيين أحقر من أولئك . واذ يحرم النمري الشفاعة والجنة على قاتلي أبناء النبي عليه الصلاة والسلام فان الشاعر ديك الجن يجد العزاء لآل البيت ولنفسه وقد فتك بهم الفاتكون ان الله قد كتب لهم الشهادة ، وهم لامحالة واردون على حوض جدهم :

ردوا هنيئاً آل فاطمة حـــوض   الردى فارتضوا بالقتل واصطبروا
الحوض حوضكم والجد جدكم   وعند ربكم في خلقه غيـــر
أبكيكم يابني آل الرسول ولا   عفت محلك الأنواء والمطـــر
في كل يوم لقلبي من تذكركم   تغريبة ولدمعي فيكم سفـــر
موتاً وقتلاً بها مات مغلقـــة   من هاشم غاب عنها النصر والظفر

واذا انصرفنا – قليلاً لننظر في سياق المعارضة وفي اطار الصراع داخل السلطة العباسية نفسها ، فان الباحث يجد في حادثة البرامكة مادة خصبة تصور كيف كان هذا الحادث على

مستوى من الخطر ، اذ أن أحداً ما كان يدور في خلده أن ينقلب الخليفة الرشيد على هـذه الأسرة التي منحها ثقة مطلقة في تدبير الحكم . (١٩)

لن نتحدث عن السبب الذي كان وراء نكبة البرامكة ، فالحقيقة أنها أسباب كثيرة غير أنها لاتخرج عن المؤامرة على الخلافة . وانما نشير الى أن هذه الأسرة كـانت قـد نجحـت في بسط سلطانها مادياً ومعنوياً علـى أنهـا اسـتطاعت أن تكسـب أصحـاب فعاليـات مختلفـة ، سياسية ، وأدبية ، واجتماعية ، كما لو كانت تمهد لنفسها الحكم المطلق .وسـوف ينعكـس هذا الوضع في شعر الشعراء الذيـن رثـوا بـني برمـك . ومـن الطريـف أن كثـيراً مـن هـذه الأشعار في هذه المناسبة كانت تكتب علـى غـرار المنشـورات السياسـية أيامنـا هـذه (قـال الأصمعي : ورجعت الى منزلي فلم أصل اليه حتى تحدث الناس بقتل جعفر ، وأصيب علـى باب قصر علي بن عيسى بن ماهان بخراسان في صبيحة الليلة الـتي قتـل فيهـا جعفـر وأوقـع بالبرامكة مكتوب بقلم جليل :

ان المساكين بنو برمك صلبت عليهم غير الدهر

ان لنا في أمرهم عـبرة فليعتبر ساكن ذا القصـر (٢٠)

ولم يك البرامكة الا معالم للجود والكرم ، أما وقد هلكوا فليتوقف الرحيل عن الاجتـداء وليتوقف الجود عن العطاء كما قال الرقاشي الشاعر :

الآن أرحنا واستراحت ركابنـــــا وأمسك من يجدي ومن كان يجتدي

فقل للمطايا : قد أمنت من السرى وطي الفيافي فدفداً بعد فدفــــــد

وقل للعطايا بعد فضل تعطلــــــي وقل للرزايا : كل يوم تجـــــددي

ودونك سيفاً برمكياً مهنـــــداً أصيب بسيف هاشمي مهنـــــــد (٢١)

وبهذا المعنى يشارك سلم الخاسر فيقول :

خوت أنجم الجدوى وتسلت يد الندى وغاضت بحار الجود بعد البرامك

هوت أنجم كانت لأبناء برمـــــك بها يعرف الهادي قويم المسالـك(٢٢)

ونلحظ أن الشعراء كانوا يخاطبون البرامكة بلقب الملك ، فأبو نواس يرثيهم بقوله :

ما رمى الدهر آل برمك لما أن رمى ملكهم بأمر بديع

ان دهراً لم يرع حقاً ليحيى غير راع حقاً لآل الربيـع(٢٣)

وكأن الشاعر ينذر أسرة الربيع بالهلاك كذلك . أما آل برمك فلقد كانت الدنيا بهم عروساً ، وتصبح اليوم بهم أرملة عندما غادروا :

يابني برمك واهاً لكم ولأيامكم المقتبلة

كانت الدنيا عروساً بكم وهي اليوم ثكول أرملة (٢٤)

ويقول أشجع في المعنى ذاته :

ولى عن الدنيا بنو برمك فلو توالى الناس مازادا

كأنما أيامهم كلهم كانت لأهل الأرض أعيــادا (٢٥)

ويوافق هذا ماقاله منصور النمري :

أندب بني برمك لدنيـا تبكي عليهم بكـل واد

كانت بهم بريقة عروساً فأضحت اليوم في حداد (٢٦)

ولشاعر مجهول :

كأن أيامهم من حسن بهجتها مواسم الحج والأعياد والجمع (٢٧)

ان هذه النصوص تتفق في المعنى أن أيام البرامكة كانت أعياداً محفوفة بالبهجة والسعادة والمسرات . كما أن الشعراء يقومون بتحريض الناس للاعتبار بصروف الدهر ، كقول دعبل الخزاعي :

ألم تر صرف الدهر في آل برمك وفي ابن نهيك والقرون التي تخلو

لقد غرس القوم النخيل تمكنـاً فما حصدوا الا كما حصد البقل (٢٨)

والخير يرتفع عن الدنيا بموتهم ، على حد قول أشجع :

قد سار دهر ببني برمـك ولـم يدع فيهم لنا بقيا

كانوا أولى الخير وهم أهله فارتفع الخير عن الدنيا(٢٩)

ان هذه الأشعار التي قيلت في البرامكة ، وأحسب أن أشعار كثيرة لأسباب سياسية لم تصل الينا عن البرامكة ، تعبر بالدرجة الأولى عن معارضة سياسية للعباسيين ، وأن هذا الشعر لم يكن الا نكاية بالقتلة من بني العباس ، فبقدر الثناء على بني البرامكة يكون التعريض بالسلطة .

لقد نجد أن المعارضة غير المباشرة تتخذ مسارات مختلفة ، فهي تطال الخليفة ، والأمير والكاتب والوزير . والذي يحدد هذه المسارات هو السياق ، فأشعار الرثاء التي قيلت في العلويين والبرامكة على سبيل المثال انما تعرض بالخلفاء العباسيين مباشرة . كما نجد في هذا السياق حدة النبرة الشعرية ، بحيث يستنزل الشاعر محمد بن وهيب اللعنة في قتلة العلويين

أغدوا الى عصبة صمت مسامعهم   عن الهدى بين زنديق ومأفون

لايذكرون علياً في مشاهدهم   ولا بنيه بني البيض الميامين

ا لله يعلم أني أحبهم   كما هم بيقين لايحبوني

لو يستطيعون عن ذكري أبا حسن   وفضله قطعوني بالسكاكيني

ولست أترك تفضيلي له أبداً   حتى الممات رغم الملاعين(٣٠)

فالحقد لم يقف عند تصامم القوم عن الهدى ولكنه أخطر من ذلك ، فهو بلوغ الحقد مبلغاً يجعل مجرد ذاكر الامام علي يتعرض لابشع عذاب اذ يقطع بالسكاكين .

ولو ذهبنا نتبع ما قيل من شعر معارض في جانبه التنديدي غير المباشر سوف نجد أن فئة الوزراء تأخذ حظها من هذا الشعر . بل ان الوزراء من هذا المنظور لا طائل من ورائهم ، كما يقول أبو علي البصير :

ياوزراء السلطان   أنتم وآل خاقان

كبعض من روينا   في سالفات الأزمان

ماء ولا كصدى   مرعى ولا كالسعدان(٣١)

واذا كان الوزير هو الشخصية المتنفذة التي بيدها القرار المخول من السلطان ، فإن هذا الوزير اصبح في ظل الحكم العباسي ممقوتاً في نظر شعر المعارضة باعتباره أداة الظلم والقهر ويتوعد الشاعر ابن بسام صاحب الوزارة بنهاية سيئة كسلفه:

تحمل أوزار البرية كلها   وزير بظلم العالمين يجاهر

ألم تر أسباب الذين تقدموا   وكيف أتتهم بالبلاء الدوائر(٣٢)

فالشاعر في حقبة عباسية متأخرة يذكر هذا الوزير أو ذاك بالعاقبة التي طالت الوزراء من قبل ، فلكم فرح هؤلاء الوزراء بما أوتوا ولكنهم أخذوا بظلمهم ، فهنا يخاطب وزيراً:

بنيت على دجلة مجلساً   تباهى به فعل من قد مضى

فلا تفرحن فكم مثل ذا   رأيناه ماتم حتى أنقضـــــى(٣٣)

وابن بسام يشبه الوزراء والمتنفذين غيرهم بالجراد الذي يأتي على كل شيء ، فهو يحرض عليهم لأهلاكهم لأنهم لا أمل فيهم :

أيرجى بالجراد صلاح أمرٍ   وقد جبل الجراد على الفساد(٣٤)

والشاعر يرينا بعض هذا السلوك الخاص بالوزير ، فلقد استغل مكانته الى حد بعيد ، فهو يأخذ الرشوة فيعّين ثم يعزل بعد ساعة من التعيين:

وزير مايفيق من الرقاعـــة   يولّى ثم يعزل بعد ساعـــة

ويدني من تعجل منه مـــال   ويبعد من توسل بالشفاعـــة(٣٥)

اذا أهل الرشا صاروا اليــه   فأحظى القوم أوفرهم بضاعة

ويأتي الكاتبون بالدرجة الثانية بعد الوزراء فلقد كان الكاتب ذا مرتبة رفيعة فهو (الذي كان يقوم بدور خطير في الدولة أشبه برجل العلاقات العامة اليوم(٣٦)) ولقد تعرض الكاتب للنقد المر والمعارضة الشديدة القاسية ، وأتهموا غالبا بالبلادة وأنهم كالأنعام بل هم أضلّ ، وعلى أنهم دليل على فساد الزمان :

تعسر الزمان لقد أتى بعجاب   ومحا رسوم الظرف والأدب

وافى بكتاب لو أنبسطت يدي   فيهم رددتُهم الى الكتــاب

جيل من الأنعام الا أنهـــــم   من بينها خلو من الأذناب(٣٧)

أتجاه مباشر

سلك بعض الشعراء في المعارضة السياسية للسلطة العباسية طريقاً مباشـراً ، إذ سمـوا أهـل السلطة من خلفاء، وأمراء ، ووزراء، وكتاب ، وغيرهم . واذا قلنـا ان مـن الأسـباب الـتي جعلت بعض هؤلاء الشعراء يسلكون أتجاها تنديديـاً بحيث لايذكـر رجـل السـلطة بالأسـم كان هو السبب المـاثل في الخـوف مـن بطـش السـلطة ورجالها المتنفـذون . فإنـه يبـدوا ان السبب البارز الذي يدفع ببعض هؤلاء الشعراء الى إعـلان الأسمـاء هـو الفدائيـة بأعتبـار ان الشعر موقف ولايقل عن أسلحة المواجهة الثائرة من ناحية ، ومدى انتشار فئـة تعمـل علـى

نقل مايدور في أوساط المجتمع ، بخاصة المثقفين والشعراء، تمتهن السرية والكتمان الشـديد . والشاعر والمثقف عموماً طبع على عدم التحفظ ، واتخاذ الحيطة مماعرض كثيراً من الشـعراء للهلاك على غرار ما فعل ببشار بن برد ، وصالح بن عبدالقدوس ، وغيرهما .

يمكننا أن نرصد هذه المعارضة الشعرية من خلال أهدافها المباشـرة ، والماثلـة في الخلفـاء ، والوزراء ، والكتاب ، وكبار رجـالات الدولـة . ولسـوف نجـد أن هـذه المعارضـة لم تكـن مهادنة أو مصانعة ، بل كانت صداماً عنيفاً لايلين ومواجهة شجاعة . والشاعر بذلك يرصد الواقع على المستوى التاريخي ، والجانب المقصود على المستوى التشخيصي النفسي.

الخلفاء

سلف القول الى أن الخليفة العباسي وضع نفسـه موضـع الهجـوم المعـارض مـن أول وهلـة وضع فيها قدمه على مدارج السلطة . ولئن كان الخليفة السفاح قد تعرض لهجـوم شـعري عنيف من خلال التنديد ، بأنه لايرعى الجميل وأنه يقتل وزراءه مما جعل الناس يتطيرون من منصب الوزارة ، كما تعرض للغضب الشعبي لأنه ينكل بأبناء عمومته من أبناء علـي ، فـان الخليفة المهدي حفيده يتعرض لهجمة شعرية لأنه ترك مقاليد الحكم لوزيـره ومضـى وقتـه في اللهو والعبث . ان بشار ابن برد ينال من هذا الخليفة دون هوادة ، فذهب يحرض الأمويـين أن يهبوا لانقاذ الخليفة المهدي ، من الخليفة الفعلي يعقوب بن أبي داوود :

بني أمية هبوا طال نومكـــــم   ان الخليفة يعقوب بن داوود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا   خليفة الله بين الزق والعـود(٣٨)

ان بشاراً لم يقف في نيله من المهدي عند هذا الحد ، بل ذهب يؤلـب عليـه ويحـض النـاس على كراهته لفسقه وسلوكه الرديء ، فالخليفة كما يقول يستحل محارمه

خليفة يزني بعماته   يلعب بالدبوق والصوجان

ولا بد من الاشارة الى ان أشعاراً كثيرة قد قيلت في المهدي من قبل بشار ، غـير أنهـا لـن تكون أقل من هذا الذي وصل الينا فكان لابد أن يقدم حياته ثمناً لذلك فلقد خرج الخليفـة ليشهد اعدام بشار مبالغة في التنكيل به ، ولقد أعدم الشاعر بتهمة الزندقة كصاحبه صـالح بن عبدالقدوس .

لقد حاول الخلفاء أن يقدموا الشعراء ويقربوهم لتحقيق هدفين: الأول أن يصبح هذا الشاعر لسان البلاط ينشر محاسنه ويذيع فضائله ، والثاني أن يصمت الشاعر الى الأبد عن سيئات ولي نعمته . ومن الملاحظ أن الخلفاء ومن على شاكلتهم من المتنفذين كانوا يسارعون الى اكتشاف المواهب الشعرية الواضحة في سبيل تحقيق هذين الهدفين . ولقد يكون واضحاً أن هؤلاء ليسوا كل الشعراء ، بل ان الشعراء المغمورين وحدهم الذين كانوا يعبرون عن مصالح الشعب يخولهم بذلك وضعهم الاجتماعي وانتماؤهم الطبقي ، غير أن كثيراً من أشعارهم لم تصلنا ولو وصلت الينا لوصلنا منهم شعر كثير وعلم كثير على حسب قول عمرو بن العلاء .

كان الخليفة الرشيد خليفة وسطاً في سلوكه الخاص والعام الأمر الذي فوت على المعارضين من الشعراء كثيراً من الفرص ، غير أن ولده من بعده كانوا مثار سخرية شديدة ومعارضة مرة ، فمحمد الأمين يعلو كرسي الخلافة ، غير أن سلوكه ما كان بالحميد ، ومزاجه ما كان معتدلاً ، بل كان مزاجاً منحرفاً وبالعودة الى كتب التاريخ نقرأ عن الخليفة الشاب كثيراً من القصص التي تذهب مذهب الأسطورة .

كان الأمين يميل الى الغلمان ، ويسارع في اقتنائهم من كل فج عميق . ولقد حاولت أمه أن تدرأ عن ابنها ذيوع هذا السلوك ، فلجأت الى حيلة علها تعدل من مزاج ابنها المنحرف ، تختار أجمل وصيفات القصر ، فتهيؤهن هيأة غلامية ، تقص شعورهن ، وتتخذ من الأساليب ما يتفق مع صبوة ولدها الذي يتكر به الماكرون غير أنها فيما يبدو لم تفلح ، اذ تذهب حيلها مدرج الرياح . وهي من دون الناس جميعاً سوف تشعر بالكآبة والغصة اذ سار هذا الشعر في العالمين يصف سلوك ولدها الضال :

لهم من عمره شطر وشطر	يعاقر فيه شرب الخندريس
وما للغانيات لديه حظ	سوى التقطيب بالوجه العبوس
اذا كان الرئيس كذا سقيما	فكيف صلاحنا بعد الرئيس(٣٩)

وما من شك أن المعارضة قد لعبت دوراً كبيراً في اسقاط الخليفة الأمين عن الخلافة ، بل عن الحياة كلها ، اذ مات مقتولاً بسيوف الفرس أخوال أخيه المأمون سنة ثمان وتسعين

ومائة وذهب بعض الشعراء يوغل في شتم الأمين ربما تقرباً وزلفى الى الخليفة المأمون عندما قال ليبرر عدم حزنه على الأمين :

لم نبكيك لماذا للطرب ... يا أباموسى وترويج اللعب

وترك الخمس في أوقاتها ... حرصاً منك على ماء العنب(٤٠)

واذ لم يتمتع الخليفة المأمون باعتلاء العرش مباشرة ، خاصة بعد أن تواطأ مع علي الرضا بن موسى الكاظم فجعله خليفة من بعده ان هو مات ، فان البغداديين ثاروا عليه وخلعوه وبايعوا عمه ابراهيم بن المهدي خليفة ، مما جعل المأمون يبادر الى بغداد مغادراً خراسان ليثبت لنفسه الحكم ، فما كان من بعض الشعراء الا أن صاغوا أشعاراً تسخر بالخليفة المنصوب وقد كان عيل الى الموسيقى والغناء ، فمما قيل فيه :

نعر ابن شكلة بالعراق وأهلها ... فهفا اليه كل أطلس مائق

ان كان ابراهيم مضطلعاً بها ... فلتصلحن من بعده لمخارق

ولتصلحن من بعد ذاك لزلزل ... ولتصلحن من بعده للمارق

أنى يكون وليس ذاك بكائن ... يرث الخلافة فاسق عن فاسق(٤١)

فمعارضة هذا الخليفة تكمن في أنه غير جدير بها لأن ما يشتهر به هو الغناء ولقد كان يجيده تلحيناً وتطريباً ، ويصفه الصولي بأنه (شاعر عالم بالغناء مقدم في الحذق به) (٤٢)
غير ان ابراهيم لم يستمتع بالخلافة فسرعان ما داهم المأمون ابن أخيه بغداد فنصب نفسه خليفة للمؤمنين وعفى عن عمه الذي اعتذر اليه ، مقدماً بين يديه صلة الرحم وأسلوباً مهذباً لبقاً . أما الخليفة المأمون فيفرغ لادارة شئون الدولة ويحدث فيها نهضة علمية وثقافية، بل يعد علماً في الثقافة والسماحة من بين بني العباس ولكن هذا الخليفة يتخذ وزيراً له هو يحيى بن أكثم (وكان يحيى بن أكثم وقد ولي قضاء البصرة قبل تأكد الحال بينه وبين المأمون ، فرفع الى المأمون أنه أفسد أولادهم لكثرة لواطه) (٤٣) واستطاعت المعارضة الشعرية أن تعزله من منصبه ، اذ يذيع المجتمع أشعاراً فيه مثل قولهم :

قاضي يرى الحد في الزنا ولا ... يرى على من يلوط باس

ما أحسب الجور ينقضي وعلى ... الأمة وال من آل عباس (٤٤)

ويذكره شاعر أسمه راشد بقوله :

وكنا نرجى أن نرى العدل ظاهراً

فأعقبنا بعد الرجاء قنـــــوط

متى تصلح الدنيا ويصلح أهلهـا

وقاض من قضاة المسلمين يلوط (٤٥)

غير أن المعارضة تبلغ مداها تجاه الأسرة الحاكمة بعد أن ارتهنت بيد الأجانب خاصة الأتراك الذين لمع نجمهم أيام الخليفة المعتصم واستطاعوا أن يتقلدوا مناصب خطيرة داخل الخلافة العباسية الى أن أصبح بامكانهم عزل وتنصيب الخلفاء وقتلهم كذلك فيما بعد !!

لقد حاول المعتصم – فيما يبدو – أن يتخلص من النفوذ الفارسي الذي جاهد على أن يستصفي لنفسه أمر الخلافة ، بل ان المعتصم أراد أن يغيض الفرس باعتماده على عنصر مقابل هو العنصر التركي الذي يمت اليه بنسب الخؤولة ، غير أن الأتراك لم يكونوا بأفضل من سلفهم الفرس فلقد تقلدوا مناصب خطيرة خاصة في صف الجيش . واشتهر بينهم وصيف ، وأشناس ، فضج المجتمع العباسي معارضاً وكان الشعر لسان حاله اذ ظهر مثل هذا القول :

لقد ضاع أمر الناس اذ ساس ملكهم	وصيف وأشناس وقد عظم الكرب
وهمك تركي عليه مهانـــــــة	فأنت له أم وأنت لـــــــه أب(٤٦)

ان احصاء أشعار المعارضة في هذه الفترة لايستوعبها هذا البحث غير أن من كمال البحث أن نشير الى أبرز النصوص التي مثلت صوت المعارضة حيث كانت صوتاً شعبياً هادراً ، الى درجة أن أصبحت على كل لسان تقريباً . فالشعب العربي لم يعد له فاعلية اتخاذ القرار ، بل ان العباسيين هم بعض أفراد هذا الشعب لم يعد بامكانهم اتخاذ قرار ، بل حتى حماية أنفسهم من الخلع والقتل . ولم يكن هذا في رأي الناس الا جزاء من جنس العمل كما قال بعض الشعراء عند خلع المستعين :

خلع الخليفة أحمد بن محمـــــد	وسيقتل التالي له أو يخلـع
ويزول ملك بني أبيد ولا ترى	أحداً بملك منهم يتمتـــع
أيها بني العباس ان سبيلكـــم	في قتل أعبدكم سبيل مهيع
رقعتم دنياكم فتمزقـــــت	بكم الحياة تمزقاً لايرقـــع(٤٧)

ومما يجدر بالاشارة أن بعض شعراء كبار كانوا صوت معارضة انطلاقاً من حرصهم على مصالح القصر الذي يرتبطون به ارتباطاً وثيقاً بحكم مصالحهم الشخصية ، فشاعر كالبحتري نجده يمدح مثل هؤلاء الخلفاء بمجرد تنصيبهم من قبل الأتراك ، حتى اذا ما غضبوا عليهم وعزلوهم ، هب يبرر هذا الفعل ، بل انه سجل نصوصاً شعرية تمدح قواد الأتراك وتشيد بهم (٤٨)

ان الخليفة المعتز ينصب خليفة ، فيسارع ابن الرومي لمعارضته ويتهمه بقتل أبيه :

دع الخلافة يا معتز من كثب	فليس يكسوك منها الله ما سلبا
أترتجي لبسها من بعد خلعها	هيهات هيهات فات الضرع ما حلبا
تا الله ما كان يرضى المليك لها	قبل احتقابك ما أصبحت محتقبا
حتى أذلك عنها ثم أبدلها	كفؤاً رضياً لذات الله منتحبا
فكيف يرضاك بعد الموبقات لها	لا ، كيف ؟ لا، كيف الا المين والكذبا؟
يامن جنى لأبيه القتل ثم غدا	حرباً لثائرة صدفت من ثلبا
ياأولياء ، عهود الشر هوّنكم	من غالب الله في سلطان غلبا
لقد جزيتم أباكم حين كرمكم	بالعهد أسوأ ما يجزى البنون أبا(٤٩)

والذي يبدو أن المعتز لم يكن هو الذي قتل أباه الخليفة المتوكل ، وانما هو المنتصر الذي تآمر مع الأتراك الذين وجدوا في المتوكل ميلاً الى العنصر العربي ، فلقد ذكر المؤرخون أنه ذهب الى دمشق ضيقاً من الأتراك ، فاضطروه للعودة الى العراق ومن ثم دبروا مؤامرة مقتله بمؤازرة ولي عهده المنتصر ، اذ يقول في ذلك الشاعر البحتري الذي كان موجوداً حين الحادثة :

أكان ولي العهد أضمر غدرةً

فمن عجب اذ ولي العهد غادرُه

فلاملّي الباقي تراث الذي مضى

ولا حملت ذاك الدعاء منابره(٥٠)

لقد فطن الأتراك – وقد كان بيدهم زمام الأمر – الى أن الخليفة لابد أن يكون عربياً . وهذا لايؤثر في شيء ما دام وهم الحكام أصحاب القرار . غير أنهم كانوا بالمرصاد لأي

خليفة تسول له نفسه أن ينفرد بالقرار وأن يمارس مهام الحكم مما جعل خليفة كالمستعين با لله أحمد بن محمد المعتصم مثلاً مجرد تابع يحكمه الأتراك كما يحكمون رعاياه ، فذاع في الناس مثل هذا الشعر :

خليفة في قفص　　بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له　　كما يقول الببغا (٥٢)

وبرغم ذلك فقد خلعه الأتراك ، وبايعوا المعتز الذي لم يهنأ بالخلافة فلقد خلع وعذب عذاباً شديداً ، اذ منع عنه الأتراك الماء (وهو أول ميت مات عطشاً) (٥٣) ولقد عبر الشعر خير تعبير عن عبث الأتراك بالسلطة ، فلما قتل الأتراك المستعين راج هذا الشعر :

لله در عصابة تركيـــة　　ردوا نوائب دهرهم بالسيـف
قتلوا الخليفة أحمد بن محمـد　　وكسوا جميع الناس ثوب الخوف
وطغوا فأصبح ملكنا مقتسما　　وامامنا فيه شبيه الضيـف

ان الخوف لم يقتصر على الخلفاء ولكنه ينال جميع الناس . أما الخليفة فيشبه الضيف فما يبرح أن يغادر ، كناية عن قصر مدة الحكم .

الوزراء

لأن الوزير كان المتنفذ الخطير في جهاز الدولة فانه كان يتحمل عبئاً كبيراً من أعباء الرفض والقبول ولم تكن الوزارة في عهد الخلافة العباسية سعادة كلها فلقد لقي معظم الوزراء كثيراً من السوء على يد الخلفاء أنفسهم بل ان الموت والتعذيب طال بعضهم اما لظهور خيانة واضحة كما هو حال البرامكة ، واما لوجود سعايات يحكيها بعض أفراد الأسرة أو حاشية السلطة كما هو حال محمد بن عبد الملك الزيات . وكما هو حال الخلفاء بدأت المعارضة الشعرية بمرحلة التنديد عن طريق التعريض بهذا الخليفة أو ذاك كذلك هو حال الوزراء غير أن الشعراء بدؤا في مرحلة تالية يذكرون الوزير بالاسم .

لقد شكل الشعر أخطر قنوات الرأي العام بحيث خلق قناعات لدى السلطة العليا بفساد سياسة هذا الوزير أم ذاك . وسوف نعرض لمحات من سيرة ذاتية لبعض الوزراء في العصر العباسي من خلال شعر المعارضة ، مشيراً الى أن النماذج التي سنتحدث عنها أسوأ نماذج

وزارية في العصر العباسي من حيث الانفراد بالقرار ومظاهر الكبر ، والأنانية ، والاستبداد، وذلك على النحو الآتي :-

الوزير محمد بن عبدالملك الزيات :

كان للذكاء ، والعلم الغزير الذي يتمتع به ابن الزيات دور في تسنم مركز السلطة يصفه الفخري بأنه (كان ذكياً فبرع في كل شيء حتى صار نادرة وقته عقلاً وفهماً ر دكاءً وكتابةً وشعراً وأدباً وخبرةً بآداب الرياسة وقواعد الملوك) (٥٤) . واذ يستوزره الخليفة المعتصم فانه أصبح ذا تأثير كبير في بلاطه يتدخل في كل صغيرة وكبيرة ، فالخليفة يأمر لابنه الواثق بمال (وأحاله على ابن الزيات فمنعه ، وأشار على المعتصم الا يعطيه شيئاً ، فقبل المعتصم قوله ورجع فيما كان أمر به للواثق من ذلك) (٥٥) . ليس هذا الجانب السيء في سيرة هذا الوزير وحسب ولكن الوزير هذا تأخذه العزة بالأثم عندما يصبح التعذيب للآخرين من كتاب ورجال دولة ومحكومين هو دأبه . يقول عنه المسعودي : (وقد كان ابن الزيات اتخذ للمصادرين والمغضوب عليهم تنوراً من الحديد رؤوس مساميره الى داخل قائمة مثل رؤوس المسال في أيام وزارته للمعتصم والواثق ، فكان يعذب الناس فيه) (٥٦) ويشخص الشاعر علي بن الجهم حال وسلوك الوزير ابن الزيات على هذا النحو مرسلاً عليه لعنات ا لله :

لعائن ا لله متابعـــات	مصبحات ومهجـــرات
على ابن عبدالملك الزيات	عرض شمل الملك للشتـات
وأنفذ الأحكام جائـــرات	على كتاب ا لله زاريـــات
صرت وزيراً شامخ الثبات	هارون يا ابن سيد السادات
أما ترى الأمور مهمــلات	تشكو اليك عدم الكفـــاة
فعالج العلج بمرهفـــات	متى ألفت ضجت الأصوات(٥٧)

ويبدو أن ابن الزيات كان ذا نفسية مريضة ليس فيما يتعلق بحبه للتعذيب كانسان سادي ولكنه لم يكن سوي الشخصية فيما يتعلق بعلاقاته الاجتماعية مع الآخرين . لقد كان ابراهيم بن العباس الصولي صديقاً حميماً لابن الزيات ،

غير أن ابن الزيات دس عليه عند الخليفة وأومى اليه بمصادرة ماله فقال ابراهيم يعاتب ابن الزيات الوزير :

وكنت أخي باخاء الزمان ... فلما نبا عدت حرباً عوانا
وكنت أذم اليك الزمان ... فأصبحت منك أذم الزمانا
وكنت أعدك للنائبات ... فها أنا أطلب منك الأمانا(٥٨)

وهكذا فان ابن الزيات يكون مثلاً سيئاً لكثير من الناس يتسنمون السلطة فيكون همهم ايذاء الأخ والاساءة للصديق ، وهذا أمر مضطرد في كل الأزمنة وعلى مر العصور . وبدهي أن يكون هلاك هؤلاء نعمة على الناس جميعاً ، فلا يكاد يستخلف المتوكل أميراً للمؤمنين حتى ينفذ مشيئة الله في الوزير ابن الزيات ليذوق من الكأس التي طالما سقى الناس منها ، فيأمر الخليفة أن يقعد الوزير في التنور الذي اتخذه لتعذيب الناس ، فيهلك فيردد الناس ما قاله الشاعر مروان بن أبي الجنوب :

وقيل لي الزيات لاقى حمامه ... فقلت أتاني الله بالفتح والنصر
لقد حفر الزيات بالغدر حفرة ... فألقاه فيه ما نواه من الغدر(٥٩)

الفضل بن مروان

وزر الفضل بن مروان للخليفة المعتصم . وقد كان هذا الوزير نصرانياً ، بدأ أمره بالكتابة ، اذ كان حسن الخط ، حتى انتهى الى الوزارة . يذكر الطبري أن هذا الوزير استبد بالسلطة لقد احتوى هذا الوزير على أموال مصر (ثم قدم الفضل قبل موت المأمون بغداد ، ينفذ أمور المعتصم ، ويكتب على لسانه بما أحب حتى قدم المعتصم خليفة ، فصار الفضل صاحب الخلافة ، وصارت الدواوين كلها تحت يديه وكنز الأموال ، وأقبل أبو أسحاق حين دخل بغداد يأمره باعطاء المغنى والملهى ؛ فلا ينفذ الفضل ذلك ، فنقل على أبي اسحاق)(٦٠).

ومن خلال نكبة الوزراء في العصر العباسي نجد أنه ما من وزير نكب الا وكان الشاعر هنا أو هناك يؤلب عليه في حياته ويشمت به حين عزله أو وفاته،

مما يدل على أن هؤلاء الوزراء قد عاثوا فساداً ، بخاصة في العصر العباسي الثاني والثالث ، اذ انفتحت شهية الخلفاء لعمارة القصور وبناء الدور واقتناء الأثاث والرياض ، فضلاً عن رشوة الجند وقادتهم من الأتراك على وجه خاص، فما يكون منهم الا أن يطلقوا العنان لوزرائهم الذين يشيرون بالمصادرة ، ويبالغون في المظالم ، وان كانت هذه المصادرة قد طالت الوزراء أنفسهم .

لقد كثر عبث هذا الوزير وظلمه للناس حتى اذا ما حبس هذا الوزير وسجن قال فيه الشعراء شماته كما قالوا فيه تحريضاً عليه مما يورده الباحث التميمي :

تفرعنت يا فضل بن مروان فاعتبر   فمثلك كان الفضل والفضل

ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم   أبادهم التنكيل والحبس والقتل

وانك قد أصبحت في الناس لعنة   ستودي كما أودى الثلاثة من قبل(٦١)

ولم يكن هذا الوزير معيناً على خير بل كان مبخلاً كريه المعروف ، ولعل هذا النص يذكر طرفاً من سيرته الذاتية اذ يقول فيه شاعر:

كم من كريم نشا في بيت مكرمة أتاك مختنقاً بالهم والكرب

أوليته منك اذلالاً ومنقصة   فخاب منك ومن ذي العرش لم يخب

وكم وثبت على قوم ذوي شرف   فما تلعثمت عن زور وعن كذب

خنت الامام وهذا الخلق قاطبة   وجرت حتى أتى المقدور في الكتب

جمعت شتى وقد أديتها جملاً   لأنت اخسر من حمالة الحطب(٦٢)

لم يطعم هذا الوزير من جوع ولم يؤمن من خوف ، بل هو لم يقم بأمر أشراف الناس الذين يتعففون من بسط أيديهم للسؤال ، فاذا يقصدوه فانه لم يفرج لهم هماً ولا كرباً ، بل انه منحهم الذل والخيبة . والوزير الفضل تجرأ على أموال الناس وأعراضهم سلاحه في ذلك الفرية والكذب . وفوق ذلك هو خائن للأمانة ، خان امام الأمة كما خان المؤمنين ، فلا هم له غير جمع المال من الحرام . ويمضي الشعراء يشمتون بهذا الوزير يذكرونه سيرته في الناس :

أبا العباس صبراً واعترافاً   لما يلقى من الظلم الظلوم

رزقت سلامة فبطرت منها   وكنت تخاليها أبداً تدوم

لقد ولت بدولتك الليالـي وأنت ملعن فيها ذميـــم
وزالت لم يعش فيها كريم ولااستغنى بثروتها عديـــم
فبعداً لا انقضاء له وسحقا فغير مصابك الحدث العظيم(٦٣)

وذهاب هذا الوزير من منصبه مدعاة لسرور الناس وابتهاجهم ، فليس له باك لأنه ليس له فضل على أحد :

لتبك على الفضل بن مروان نفسه فليس له باك من الناس يعرف
لقد صحب الدنيا منوعاً بخيرهـــا وفارقها وهو الظلوم المعنـــف
الـى النار فليذهب ومن كان مثله على أي شيء فاتنا منه نأسف(٦٤)

واذا كان ابن الزيـات والفضـل بـن مـروان مثلـين سـيئين للـوزارة في العصـر العباسي ، فانه من الممكن عرض بعض أمثلة سيئة للقضاة في هذا العصـر .فـاذا كـان الوزيـر هـو المنفـذ الأول لسياسـة القصـر ، فـان مـن المفـترض أن يكـون القاضي هو الحاكم المنفذ لشـريعة ا لله في الأرض ، يحكـم بـين النـاس فيمـا أراه ا لله ، ففي يده رقابهم ، وأعراضهم ، وأموالهم . في هذا العصر العباسـي وجـد قضـاة عـادلون اسـتحقوا احـترام المجتمـع بشـكل عـام ، فلقـد بلـغ اعتدادهــم بأنفسهم وثقتهم بعلمهم حداً جعلهم يعاملون الناس بميزان الاسلام لافـرق بـين كبير وصغير ، ولا يأتمرون الا بأمر الدين وأحكامه . لقـد (كتـب المنصـور الى سوار بن عبدا لله قاضي البصرة للنظر في الأرض التي تخاصـم فيهـا فـلان القـائد وفلان التاجر ، فأدفعها الى القـائد ، فكتـب اليـه سـوار : ان البينـة قـد قـامت عندي للتاجر ، فلست أخرجها منه الا ببينة ، فكتب اليه المنصور : وا لله الذي لااله الا هو لتدفعنها الى القائد . فكتب اليه سوار : وا لله الذي لا اله الا هو لا أخرجها من يد التاجر الا بحق . فلما جاءه الكتاب قال : ملأتهـا وا لله عـدلاً ، وصار قضاتي يردوني الى الحق) . (٦٥) وكتب التراث تفيض بهذه العلامـات الهادية في مجال القضاء ، مثل القاضي أبو عمر محمد بن يوسف الذي ضرب بـه المثل ، (وانتشر على لسان الخطير والحقير ذكر فضله ، حتى ان الانسان كـان اذا بالغ في وصف رجل قـال : كأنـه أبـو عمـر القـاضي ، واذا امتـلأ الانسـان

غيظا، قال : لو أنـي أبو عمـر القـاضي مـا صـبرت) . (٦٦) وكـان القـاضي عثمان بن أبي طلحة لا يرتزق على القضاء : (أكره أن أرتزق ، فيضيرني ذلك بولاية القضاء ، ثم استعفى أمير المؤمنين [المهدي] من القضاء فأعفاه) (٦٧) وعكس هذا السلوك كان واقعاً ، فلقد قدم لنا الشعر أمثلة من قضـاة السـوء . وكثير من هذه الأشعار فياضة بالسخرية من خـلال الصـور الكاريكاتيريـة الـتي تصور هذا القاضي أم ذاك .فالشاعر محمد بن مفاذر يتقدم بشكوى الى الخليفـة بهذا القاضي الذي يحكم بين الناس بالباطل :

قل لأمير المؤمنين الـــذي	من هاشم من سرها واللباب
ان كنت للخطة عاقبتنـــا	بخالد فهو أشد العقـــاب
كان قضاة الناس فيما مضى	من رحمة الله ، وهذا عـذاب
يا عجباً من خالد كيــف لا	يغلط فينا مرة بالصـــواب(٦٨)

فلربما ضحك الخليفة من هذا التصوير الساخر للقاضي الجاهل . وابـن لتلـك البصري يسخر من هذا القاضي الجاهل الـذي لايعلـم شيئاً ، انـه أبـو اسـحاق القاضي :

أبو اسحاق صاحبه معنـــي	يروح ويغتدي من غير معنى
وينظر في القضاء بغير علم	وأجهل ما يكون اذا تأنـــى(٦٩)

وتبلغ السخرية بهذا القاضي الذي يخـالف الشـرع فيمـا يحكـم ، فهـو يظلـم الأيتـام، ويقـدم النسـاء علـى الرجـال في الفريضـة الشـرعية مخالفاً بذلـك آيـة المواريث ، كما انه يسرق أوقات المسلمين :

وقاض له مئتان ألـــــف	مـن الأرزاق من شهر يقال
نصرت الأوصياء على اليتامى	وقدمت النساء على الرجال
وأحرزت الوقوف فكنت أولى	بهن في الكلالة والموالـــي(٧٠)

ويصـور الشـعر في هـذه الفـترة القضـاة كثيراً منهـم بـأنهم يتخـذون الزهــد والعبادة رئاء الناس ... الخ وأنهم يسرعون الى الحكم بالباطل مقابل الرشا :

لازموا المسجد ضـلا | لاّ من الأمر الرشيد
وتراهم للوصايــــا | وعدالات الشهـود
في مراء وجـــدال | وقيام وقعـــود
وخشوع وابتهـــال | وركوع وسجـــود
وعلى القسمة أضرى | من تماسيح الصعيـد(٧١)

وابن الجماز يذهب مذهب الاستنكار والمعارضة حينما يعين ابن أكثم قـاضيين أعوريين على أيام الخليفة المتوكل فلا يسعه الا أن يرسل هذه السخرية والانكار شعراً فهما من الكبائر في رأيه :

رأيت من الكبائر قاضييــــن | هما أحدوثة في الخافقيـن
هما اقتسما العمى نصفين قدراً | كما اقتسما قضاء الجانبين
وتحسب منهما من هز رأســاً | لينظر في مواريث وديـن
كأنك قد وضعت عليه دنــاً | فتحت بزاله من فردعيـن
هما قال الزمان بهلك يحيـى | اذا افتتح القضاء بأعورين(٧٢)

وربما اقتضت سنة الحياة أن القدوة في كل شيء لاتكون الطـابع أو الأغلب الأعم ، ومن هنا يرمي ابن الرومي القضاة بأنهم كلاب يتهـالكون على الدنيا وقد كان حرياً بهم أن يكونوا القدوة والسلف :

الا انما الدنيا كجيفة ميتة | وطلابها مثل الكلاب النواهس
وأعظمهم ذماً لها وأشدهم | بها شغفاً قوم طوال القلانـس

مشيراً بالقلانس الى القضاة الذين اختصوا دون غـيرهم بهـذا اللبـاس . ومـا من شك أن هذا الشعر كان يشكل ضغطاً قوياً على الخليفة لعزل هذا القـاضي أم ذاك ، كما هو الحال في يحيى بن أكثـم الـذي عزلـه الخليفـة المأمون بسـبب اقتراف اللواط ، حتى صار (يقال في الكناية عن اللوطي : هو على ديـن يحيى بن أكثم ، قال الشاعر :

أنا الماجن اللوطي ديني واحــد | واني في كسب المعاصي لراغب
أدين بدين الشيخ يحيى بن أكثم | واني لمن يهوى الزنا لمجانــب(٧٣)

والواضح أن هذا الرجل لايدين باللواط ، قدر مايريد التشنيع على يحيى بن أكثم.

الكتابة :

كانت مهنة الكتابة أكثر التصاقاً بمشكلات المجتمع . وهي الوسيط في العصر العباسي بين الحاكمين والمحكومين .لقد كانت الكتابة مهنة وصلت بأصحابها الى مكانات مرموقة ، بل ان بعض من امتهن هذه الصناعة وصل الى مرتبة الوزارة كمحمد بن عبدالملك الزيات على محمد المعتصم . ولقد حرص الكاتبون على أن يعدوا أنفسهم اعداداً خاصاً ، كما اشترط أن تتوافر في الكتابة أمور هي نفسها التي ينبغي أن تتوافر في الكاتب . وتراث العصر العباسي حافل بالمصنفات الخاصة التي تشبه موسوعات معرفية في مجال الكتابة والتدوين ، منها على سبيل المثال أدب الكتابة لابن قتيبة . و (أدب الكتاب) لأبي بكر الصولي ، و (صبح الأعشى) للقلقشندي . (فترى من هذا كيف كان المؤلفون يعنون بهذه الطبقة من الناس ، وكيف كانوا يتطلبون منهم المعارف الواسعة في الموضوعات المختلفة . وان هذه الطبقة كانت تمتاز عن بقية العلماء بالثقافة العامة) (٧٤) ولما كانت صناعة الكتابة على هذا النحو من الأهمية ، ولما كان الكاتب على هذا النحو من الخطورة فان الشعر قام بدور مهم في معارضته هذه المؤسسة بعد أن فشا فيها الفساد ، وأصبح هم المتنفذين من كبار الكتاب يجاهدون في سبيل الثراء الفاحش ، اذ لم يكن لهم وسيلة اليه الا الرشوة وأفانين المكايد والحيل . ولقد مر بنا ما آل اليه الكاتب محمد بن عبدالملك الزيات في المصادرة والتعذيب حتى الموت ، بعد أن كان يرفض استرحام الضعفاء ، مجيباً من ينشده الرحمة بأنها (خور في الطبيعة) .

لقد أفرغ كثير من الشعراء في هجاء هؤلاء الكتاب السيئين واتهموهم بالجهالة، كقول أبي العيناء :

تعس الزمان لقد أتى بعجائب	ومحا رسوم الظرف والآداب
وافى بكتاب لو انبسطتِ يدي	فيهم رددتهم الى الكتاب

جيل من الانعام الا أنهـــم من بينها خلقوا بلا أذنـاب(٧٥)

واذا كانت للكتابة قواعد وأصول ، فانه من البديهـي أن يؤتـى الكتـاب المراد هجوهم من هذا القبيل ، كما يقول أبو العيناء أيضاً :

أو ماترى أسد بن جوهر قد غدا متشبها بأجلة الكتـــاب

فاذا أتاه سائل في حاجـــة رد الجواب له بغير جواب

وسمعت من غث الكلام ورثـــه وقبيحه باللحن والاعـراب

ثكلتك أمك هبك من بقر الفلا ما كنت تغلط مرة بصواب(٧٦)

ففي معرض هذا الهجاء نلحظ مواصفات الكاتب الحقيقـي ، وهـو أن يكـون عالماً، واسع الثقافة ، بحيث يرد علـى سؤال السـائلين ، كمـا ينبغـي أن يكـون فصيحاً ملماً بقواعد اللغة ، والاعراب بوجه خاص .

لقد كان الشعر في هذه الفترة من أبرز وسـائل الاتصـال ، يعمـد الحـاكم الى استقطاب الشعراء في سبيل الدعاية له والتأثير على الجماهير ليواصل اسـتمتاعه بالسلطة ، وهذا أمر – فيما يبـدو – مرتبـط بتكويـن الانسـان العربـي ، بحكـم البيئة والثقافة ، ثم أن الشاعر وقد علم حظوة ابداعه وعبقريتـه ربمـا اتخـذ مـن ذلك وسيلة للابتزاز فضلاً عن الارتزاق مما يصنعه شعره من تأثير .

لقد ساق المؤرخون كثيراً من القصـص الـتي تـدل علـى عظـم التأثـير الـذي يتركه الشعر في نفس سامعيه مـن بدايـة تـداول هـذا الفـن حـت الآن ، فقصـة سديف مع الخليفة العباسي ليست ببعيـدة ، وقصـة بشـار بـن بـرد مـع المهـدي أقرب في حساب التاريخ . مـن هنـا نقـرر أن اتخـاذ الشـعر وسـيلة خطـيرة مـن وسائل المعارضة أمر مفروغ منه ويحسن بنا أن نقف عند شاعر كبير من شـعراء العصر العباسي ، يمثل لنا المعارضة الشعرية خير تمثيل . انه دعبل الخزاعي .

شعر دعبل الخزاعي نموذج للمعارضة السياسية :

فاتحة :

في كل دولة من دول الخلافة الاسلامية في عصورهـا الزاهيـة الأول حصلـت عملية استقطاب للشعراء الكبار . فعندما يمنـح الخليفـة العباسـي المهـدي أكـبر

مبلغ يمنحه شاعر ، هو مروان بن أبي حفصة ، فانما لأن الشاعر المخضرم قد فطن الى الأزمة الراهنة ، التي يعاني منها المجتمع على صعيد السياسة . ومن ميزات الشاعر أن يقوم بعملية حدس وادراك ولماحية ما يحدث في الواقع ويعتمل في الذهن ، بخاصة اذا كان الشاعر يعتمد في حياته على احتراف فن الشعر .

كان الخليفة العباسي يعاني فيما يبدو من مسألة هي الى الفقه الاسلامي ألصق هي مسألة الارث الخلافي ، ومن الذي يلي ارث الخلافة بعد سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهم العلويون الذين يمتون اليه بنسب عن طريق ابنته فاطمة رضي الله عنها وزوجها وابن عم أبيها على بن أبي طالب ، أم أنهم العباسيون لقرابة أبيهم العباس بن عبدالمطلب من حيث الفريضة الشرعية ، حيث الرجل العباس بن عبدالمطلب حجب المرأة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان هذا الموضوع يحتاج صياغة شعرية من طراز شاعر كبير ضربت شهرته الأفق العربي ، هو مروان بن أبي حفصة ليكون أبلغ في التعبير وأكثر قدرة على الاقناع .

لقد حرص الخلفاء بالدرجة الأولى على أن تضم قصورهم جموعاً من الشعراء الموهوبين ، وأشباه الموهوبين ليقوموا بأدوار منها السياسية ، حيث الخليفة يريد أن يوطد سلطانه ويبسطه في الأمصار ، فهو شعر دعائي ، وحيث اضطرابات خطيرة في الداخل والخارج تشكل تهديداً للخليفة وسلطانه ، فهو شعر ينافح عن العرش ويدافع عنه بغي المعتدين وخروج الخارجين . وما أكثر من خرج على الخلفاء من بني العباس داخل العراق وخارجها . وأخيراً حيث الطبقة الحاكمة تستأثر بالنعيم المقيم يأتيها رغداً صباح مساء ، فهو شعر يزين هذه الشهوات ويزخرف متع الحياة ، ويغري بالمزيد .

كان الشعر يقوم بهذه الأدوار جميعها . وسقط الشعراء في الاغراء فباع كثير منهم ضمائرهم وأصبحوا لسان السلطان . أما الشعر الذي يؤمن بفكرة ويدافع عن مبدأ ويحترم قيمة بعينها ، فهو الشعر النادر . وصاحبه الذي رضي

أن يحمل خشبته ليل نهار ولا يدري متى سيؤتى ، وكيف ، وأين !! ولقد كان دعبل بن علي الخزاعي أحد هؤلاء الأفراد القلة في رحاب شعر متمرد يؤمن قبل كل شيء بأن الشاعر موقف وأن الأسلوب – كما عبر عنه بعض المتأخرين– هو الرجل .

دعبل بن علي الخزاعي سيرة ذاتية :

يقول عنه الأغاني : (شاعر متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان لم يسلم عليه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم) (٧٧)

هو دعبل بن علي بن رزين بن سليمان بن تميم من خزاعة ، ويكنى أبا علي . ويبدو أن الشاعر ساغ منازلة السلطة ونذر ابداعه الشعري في سبيل النيل من الحاكمين حتى ليكون مثلاً للمعارضة الشعرية على الصعيد السياسي . يحدث أبو خالد الخزاعي الأسلمي (قال قلت لدعبل ويحك قد هجوت الخلفاء والوزراء والقواد ووترت الناس جميعاً . فأنت دهرك كله شريد طريد هارب خائف فلو كففت عن هذا وصرفت هذا الشعر عن نفسك فقال ويحك اني تأملت ما تقول فوجدت أعز أكثر الناس لاينتفع بهم (الاّ الرهبة) (٧٩) وليس بعد هذا القول من بيان في أن الشاعر قد فضل هذا الاتجاه الذي يورده مورد الهلاك . لقد كان الشاعر بحكم فحولته الفنية وموهبته الشعرية مؤهلاً أن يكون أحد دعاة البلاط الأفذاذ ، والحاكمون في أمس الحاجة الى شاعر مطبوع فحل يزين سلوكهم للناس ويضخم شخصياتهم الوامقة للعلو والاستكبار لولا أن الشاعر قد صرف نفسه عن هذه الرغبة التي يطمع فيها الشعراء ويحدق فيها الذين يرون السعادة رخاء عيش وغضارة حياة .

كان الشاعر ذائعاً فضلاً عن كونه قداً وشعره يدور في مجالس الأدباء وعلماء اللغة (٧٩) لقد كان دعبل شاعراً مطبوعاً بشهادة زملائه المعاصرين الذين وهبوا حياتهم جناب السلطان منها هو البحتري الشاعر الكبير (٨٠) يقول في شعره يحدث ابن مهروية : (دعبل بن علي أشعر عندي من مسلم بن الوليد فقلت له وكيف ذلك قال لأن كلام دعبل أدخل في كلام العرب من كلام

مسلم ومذهبه أشبه بمذاهبهم وكان يتعصب له (٨١) . واذا كان الشاعر موقفاً فان دعبل اختار موقفه وحدد نمط حياته ، فلقد اختار أن يعيش لمبدأ آمن به طوال حياته ، يعرف سلفاً أنه يفضي به الى الهلاك . (جاء في الخلاصة : دعبل بن علي الخزاعي ، أبو علي الشاعر مشهور في أصحابنا حاله ، مشهور في الايمان وعلو المنزلة ، عظيم الشأن) (٨٢)

(وقد روى دعبل عن جماعة من المحدثين ومنهم : الحافظ شعبة بن الحجاج ... وبهذا الطريق روى عنه الحديث الحافظ سفيان الثوري ... الخليفة المأمون العباسي ...) (٨٣) والى جانب ذلك اشتهر دعبل بالتأليف كما أشار الى ذلك جماعة من العلماء والأدباء المشهورين (٨٤) . ويبدو أن أشهر مؤلفاته كتاب (طبقات الشعراء) الذي أغفل فيه ذكر أبي تمام مما أحفظه عليه (٨٥)

شعره :

يورد عبدالصاحب عمران الدجيلي اشارات التقطها من بعض المصادر التاريخية والأدبية تذكر أن لدعبل الخزاعي ديواناً شعرياً ، غير أن هذا الديوان غير معروف ، فيبادر الدجيلي الى صناعة ديوان لدعبل جمعه من مصادر متناثرة في كل من العراق وايران مقدماً بين يدي هذا الجهد اعتذاراً لأنه لم يبلغ المدى والغاية (٨٦) .

ويبدو أن وراء اختفاء ديوان دعبل الخزاعي يرجع الى عصبية سياسية ، لما فيه من الجرأة والصرامة الموقفية . ان الديوان الذي بين أيدينا متنوع الأغراض، ففيه الهجاء ، والفخر ، والمديح ، والغزل والرثاء ، والوصف ، والاخوانيات .. غير أن غرضي المحد والهجاء يعدان من أبرز أغراضه الشعرية ؛ اذ خصص هذين الغرضين - غالباً - لأداة فكرية أساس ، تدور حول مدح آل البيت ، وحول هجاء الطرف المقابل . وما يهمنا هنا هو التركيز على البعد الذي يبرز فيه دعبل شاعراً معارضاً .

وبامكاننا أن نتناول هذا البعد من خلال التفريعات الآتية :

صورة الخليفة ، صورة مؤسسة السلطة ، صورة آل البيت الذين تشيع لهم .

صورة الخليفة :

عاصر دعبل عدة من الخلفاء ، هم الرشيد وابنه المأمون ، والمعتصم ، والواثق، والمتوكل . واذ كان الرشيد قد حاول استقطابه ليكون أحد دعاة بلاطه وأقطابه ، فانه فيما يبدو لم يستطع . لقد أعجب الرشيد بشاعرية هذا الفنان الكبير ، اذ ذاع في الآفاق هذا الشعر الذي غنى به المغنون :

أين الشباب ؟ وأيةً سلكا	لا ، أين يطلب ؟ ضل بل هلكا
لاتعجبي يا سلم من رجل	ضحك المشيب برأسه فبكى
قد كان يضحك في شبيبته	وأتى المشيب فقلما ضحكا
يا سلم ما بالشيب منقصة	لا سوقة يبقى ولا ملكا
قصر الغواية عن هوى قمر	وجل السبيل اليه مشتركا
وعداً بأخرى عز مطلبها	صباً يطامن دونها الحسكا
ياليت شعري كيف نومكما	ياصاحبي اذا دمي سفكا
لا تأخذا بظلامتي أحداً	قلبي وطرفي في دمي اشتركا(٨٧)

ان هذا الشعر الذي يبدو فيه صفاء البداوة وشوقها ورقة الحضارة وشجونها! اذ كان ذكر المشيب هادماً للذات واستدعاءً للاعتبار الحزين هو ال
ذي دفع الخليفة الرشيد أن يأمر للشاعر بعد أن سأل عنه بعشرة آلاف درهم (وخلعة من ثياب فدفعه مع مركب من مراكبه الى خادم من خاصته وقال له اذهب بهذا الى خزاعة فاسأل عن دعبل بن علي فاذا دللت عليه فاعطه هذا وقل له ليحضر ان شاء) (٨٨) غير أن دعبل ماكان له أن يغير سبيلاً اختطه لسيره الأبدي (فوا لله ما بلغه أن الرشيد مات حتى كافأه على ما فعله من العطاء السني والغنى بعد الفقر والرفعة بعد الخمول بأقبح مكافأة) (٨٩).

ان مال الدنيا لايمكن أن يشتري صاحب مبدأ ، أكان الانسان انساناً عادياً أم سياسياً ، أم قائداً عسكرياً . ان قلب دعبل يفيض بحب آل البيت الذين لاقوا حياة تعيسة أقصاها التقتيل وأدناها التنكيل . والخليفة الرشيد كسلفه من

بني العباس ولغ في دماء هذه الأسرة البريئة ، لم يرع فيها الاً ولا ذمة فهل يبيع دعبل هذه الدماء بعرض من الدنيا قليل أو كثير ؟

يموت الخليفة الرشيد بطوس فيدفن في ذات الموطن الذي دفن به الامام علي الرضا بن موسى الكاظم . فيبرز لنا هذا الشعر الذي نراه يصور طرفين متقابلين، الخليفة الرشيد العباسي ، والرضا العلوي :

وليس حي من الأحياء نعلمه	من ذي يمان ومن بكر ومن مضر
الاوهم شركاء في دمائهم	كما تشارك أيسار على جزر
قتل وأسر وتحريق ومنهبة	فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
أرى أمية معذورين ان قتلوا	ولا أرى لبني العباس من عذر
اربع بطوس على القبر الزكي اذا	كنت تربع من دير الى وطر
قبران في طوس خير الناس كلهم	وقبر شرهم هذا من العبر
ما ينفع الرجس من قبر الزكي ولا	على الزكي يقرب الرجس من ضرر
هيهات كل امرىء رهن بما كسبت	له يداه فخذ ما شئت أو فذر(٩٠)

آل البيت تستباح دماؤهم كأن الدنيا أجمعت على حربهم ، فحالهم بين قتل وأسر وحرق ، ونهب واذ يعذر الشاعر الأمويين ان هم أجرموا في حق العلويين، باعتبار العداوة الطبيعية بينهم فانه ما يكون لأبناء العم العباسيين الذين ينحدرون من رحم واحدة ، فما عذرهم حين ينكلون بالأخوة أبناء العم والقربى القريبة ؟ !!

ان صورة الرضا مثال الطهارة والتقوى والخير . أما صورة الرشيد فهي صورة السوء والشر ، انها رجس . ان هذا الشعر الذي نهج الجمال في ابتكار الصورة وترتيب الفكرة ، وابراز المعنى بشكل تراجيدي كل ذلك جعل الأغاني يتهم دعبلاً بأنه كافأ الرشيد بأقبح مكافأة ، وهو الذي دفع ابنه الخليفة المأمون (يطلبه وهو طائر على وجهه) بغية قتله جزاءً وفاقاً لقوله هذا الشعر الذي لاشك أنه يحمل من قوة الحجة وعارضة المنطق ما جعله يسري ويذيع في الناس .

الفكرة اذن أن العباسيين لم يكتفوا بمصادرة الخلافة على العلويين ، كما يزعم هؤلاء بأنهم أحق بها وأهلها ، ولكن فضلاً عن ذلك أنهم قتلوا أبناء علي وتتبعوهم في الأمصار يبالغون في استصالهم . هذه الفكرة هي التي سيطرت على ذهن الشاعر وشكلت النسق الرئيس في صياغة شعره السياسي المعارض بطريقة مباشرة وغير مباشرة . وسوف نلحظ أن الشعر المعارض الذي أنتجته قريحة دعبل كان شعراً مناسبياً في معظمه ، واذ نتابع التفريع الأول : صورة الخليفة ، فان هذه الصورة تعبر عن سخرية بالغة بهذا الذي نصب نفسه خليفة للمسلمين بعد أن اشتهر بالطرب والموسيقى في الوسط الاجتماعي ، انه ابراهيم ابن المهدي الذي ولي الخلافة ببغداد أثناء بقاء المأمون في خراسان . لقد نسب دعبل ابراهيم الى أمه (شكلة) فهجاه بهذا الشعر المقذع الساخر :

نعر ابن شكلة بالعراق وأهله ... فهنا اليه كل أطلس مائق

ان كان ابراهيم مضطلعاً بها ... فلتصلحن من بعده المخارق

ولتصلحن من بعد ذاك لزلزل ... ولتصلحن من بعده للمارق

أنى يكون وليس ذاك بكائن ... يرث الخلافة فاسق عن فاسق(٩١)

ان دعبل لايجيز أن يخلف المسلمين من يمتهن الغناء ، فابراهيم مغني ، ان صحت له الخلافة ، فانها ستكون كذلك من نصيب زلزل ، ومخارق . كما ان ابراهيم رجل فاسق وابن فاسق ، وهي صفة يطلقها على خلفاء بني العباس .

ان حنق دعبل على ابراهيم بن المهدي ربما تضاعف لسبب واضح أثبته التاريخ وهو أن الخليفة المأمون كان قد عقد الولاية الخلافية من بعده للامام الرضا الذي قربه منه وأحسن اليه الى درجة زوجه ابنته . ولعل اعلان ابراهيم نفسه خليفة كان مثيراً لشاعرية دعبل ليصب عليه جام هذا الشاعر الساخر من مثل قوله :

يامعشر الأجناد لاتقنطوا ... وارضوا بما كان ولاتسخطوا

فسوف تعطون (حنينيةً) ... يلتذها الأمرد والأشمط

و(المعبديات) لقوادكم ... لاتدخل الكيس ولا تربط

وهكذا يرزق أصحابه خليفة مصحفه (البربط)(٩٢)

ان دعبل يقوم بفعل التحريض للجند ، مستغلاً حاجتهم . فالخليفة الجديد ليس لديه من العطاء لهم الا الغناء وآلته ، بل أعظم من ذلك وهو أن مصحف هذا الخليفة هو (البربط) وليس بعد هذا من فسوق .

لقد نجد أن هذا الشعر ليس مجرد هجاء عادي بقدر ما هو شعر تحريضي على الخلفاء مصوغاً بلغة تبتعد عن حدود اللياقة ، مما يعبر عن الحقد الدفين الذي يكنه الشاعر لأسرة بني العباس ؛ واذ يعاصر الشاعر خمسة من الخلفاء العباسيين، فان صورة الخليفة المعتصم تبدو على هذا النحو :

بكى لشتات الدين مكتئب صبر وفاض بفرط الدمع من عينيه عزب

وقام امام لم يكن ذا هداية فليس له دين ، وليس له لب

وما كانت الأنباء تأتي بمثله يملك يوماً ، أو تدين له العرب

ولكن كما قال الذين تتابعوا من السلف الماضين اذ عظم الخطب

ملوك بني العباس في الكتب سبعة ولم تأتنا عن ثامن لهم الكتب

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة كرام اذا عدوا وثامنهم كلب

واني لأعلي كلبهم عنك رفعة ذو ذنب وليس له ذنب

كأنك اذ ملكتنا لشقائنا عجوز عليها التاج والعقد والاثب

لقد ضاع ملك الناس اذ ساس ملكهم وصيف وأشناس وقد عظم الخطب

وفضل بن مروان سيثلم ثلمه يضل لها الاسلام ليس له شعب

وهمك تركي عليه مهانة فأنت له أم ، وأنت له أب(٩٣)

وما نود أن نشير اليه هنا أن ملوك بني العباس غير جديرين باحترام دعبل ، وانما منحهم هذه الصفة ليستخلص من السياق وجه الشبه من طرف واحد فقط هو الجامع بين العدد (سبعة) ؛ فكلب أهل الكهف سابعهم في العدد كما أن المعتصم هو كلب العباسيين لأنه سابعهم . ودعبل يعلي كلب أهل الكهف لأنه حيوان لايطاله التكليف ، أما المعتصم فذو جرائم مشهودة . ولقد حمل النص ملابسات تمعن في اضفاء صورة السخرية بالخليفة ، فالدين الحنيف يضيع

باعتلاء المعتصم سدة الخلافة ، فهو شؤم ، إذ عين وزيراً نصرانياً في بلاطه، كما أنه أطلق مقاليد الخلافة للدخلاء من الأتراك ، وصيف ، وأشناس . كما أن هوى الخليفة تركي ، بجانب العروبة ويخانقها .

تبلغ الخليفة هذه القصيدة كما بلغت الناس . وللمرء أن يتخيل فعل هذا الشعر في الجماهير الذين كانت تطؤهم حوافر الخيل التركية في شوارع بغداد – كما يقول المسعودي – لنرى الى أي حد يمكن أت تلعبه القصيدة السياسية الصادرة عن دعبل الموتور بآل البيت .

تبلغ هذه الخليفة المعتصم ، فيأمر باهدار دم الشاعر مما جعله يهرب الى الجبل(٩٤) يموت الخليفة المعتصم فيرثيه الشاعر الكاتب الوزير محمد بن عبدالملك الزيات بقوله :

قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا   في خير قبر بخير مدفون

لن يجبر الله أمة فقدت   مثلك الا بمثل هارون

فيعارض الشاعر دعبل على نفس القافية والوزن :

قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا   في شر قبر لشر مدفون

اذهب الى النار والعذاب فما   خلتك الا من الشياطين

ما زلت حتى عقدت بيعة من   أضر بالمسلمين والدين(٩٥)

ان انطباع دعبل عن العباسيين جد رديء . فالمعتصم يذهب الى النار وبئس المصير كما لو كان الأمر بيده ، ثم هو يصم الواثق بالظلم وأنه حرب على الاسلام والمسلمين مع أنه لم يتولى الخلافة بعد ! انه ثأر ضروس .

ان امام الأمة وخليفتها نعمة لما يحققه الله بواسطتها من عدل ، وأمن ، وتكافؤ فرص . ومفهوم الراعي في الاسلام مفهوم تبعة ثقيلة ومسؤلية شاقة.ولقد كان السلف من خلفاء المسلمين من أمراء المؤمنين مثالاً في حمل هذه الأمانة الثقيلة حتى اذا ما غيب الموت واحداً منهم أصيبت الأمة في معاشها ومعادها . أما خلفاء بني العباس فان موتهم يكون رحمة وعناية الاهية ؛ والدليل

على ذلك أن موت المعتصم الخليفة أمر لم يحزن أحد من الناس ، كما أن اقامة خليفة بعده لم يسر أحداً ، أما الأول فشؤم مهلك ، وأما الآخر فويل ونكد :

الحمد لله لاصبر ولاجلـد ... ولا عزاء اذا أهل البلا رقدوا
خليفة مات لم يحزن له أحد ... وآخر قام لم يفرح به أحـد
فمر هذا ومر الشؤم يتبعه ... وقام هذا فقام الويل والنكـد(٩٦)

ان صورة الخليفة في هذه المقطوعات صورة قاتمة كئيبة أسقط عليها الشاعر كل معاني الهوان والضعة ، فبدا الخليفة كحرب للقيم الكريمة والأخلاق الفاضلة ، كما أن الشاعر أفرغ موهبته الساخرة في النيل من هذا الخليفة أو ذاك ، وقدم لنا الخليفة في ضوء هذه المعطيات انساناً غير جدير بالتكريم فقط ، وانما بالحياة ، اذ جعله عدواً للحياة والأحياء .

صورة مؤسسة السلطة :

نعني بالسلطة القيادة التنفيذية والتشريعية . ومؤسسة السلطة هم القائمون بأمر هذه القيادة ، ولهذا فاننا سوف نجد دعبلاً يتناول رموز هذه المؤسسة ابتداء بالوزير ،مروراً بالوالي ، والقائد ، وانتهاء بالكاتب والقاضي . ان دعبل الخزاعي يجد في مؤسسة السلطة تناغماً مع القيادة العليا فيها (الخلافة) فهي مؤسسة عبث ، واستعباد ، واستلاب . ان صورة هذه المؤسسة تمثل في رأي دعبل اللاشرعية لانتفاء صفة الكفاءة فيها ، ديناً وعرفاً ، فهي مؤسسة فاضحة، لم يقم الشاعر الا بدور تعريتها . لقد استخدم دعبل لغة شعرية توهم ، وحسب وصف الواقع ، بحيث تتوارى عدائيته للسلطة وراء هذا الايهام ولا تكاد تبين . ويمكننا أن نلحظ ذلك من خلال تناوله لأبرز فعالية في هذه المؤسسة يفترض فيها جمال السلوك وطهارة الخلق.

القاضي :

حدد الدين والعرف الاجتماعي معايير اجتماعية وشخصية لشغل الوظائف العامة . فلئن اشترط في القائد العسكري الكفاءة في القيادة والتعامل مع المواقف الطارئة بنباهة وحزم واستخدام أساليب التمويه والكر والفر بما يحقق

الغلبة والنصر على الأعداء . ولئن اشترط ديوان الكتابة على الكاتب أن يجيد أسباب الكتابة على الصعيدين الموضوعي والفني ... فان من شروط القاضي أن يكون عالماً بالكتاب والسنة ، إذ أن القضاء هو كما يقول ابن خلدون:(معرفة أحكام الله تعالى ... وهي متلقاة من الكتاب والسنة) . (٩٧)

غير أن صورة القاضي عند دعبل صورة حقيرة . وهي فوق ذلك تخبر عن تدخل السلطة صاحبة القرار في تقليد هذا المنصب من يستحقه . لقد كان يحيى بن أكثم قاضياً من أشهر قضاة العصر العباسي ، فلقد ولي القضاء في أيام المأمون ، وأذاع المجتمع فيه سلوكاً مستنكراً ، فقد كان شاذاً جنسياً مما جعل الخليفة يعزله عن القضاء ، بل لقد سار فيه مثل هذا الشعر :

وكنا نرجى أن نرى العدل ظاهراً

فأعقبنا بعد الرجاء قنوط

متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها

وقاضي قضاة المسلمين يلوط (٩٨)

ان هذا القاضي في رأي دعبل حيوان وضيع ؛ انه كلب لايحفظ معروفاً ارتقى به صانعوه مرتقى صعباً ، فهو يظهر على هذه الصورة :

رفع الكلب فاتضع ... ليس في الكلب مصطنع

بلغ الغاية التي ... دونها كل مرتفع

انما قصر كل شيء ... اذا طار أن يقع

قل ليحيى بن أكثم ... ان ما خفت قد وقع

لعن الله نخرةً ... كان من بعدها ضرع(٩٩)

وهذا القاضي رجل دعي . واذا علمنا أن العصر العباسي كان عصر اعلاء قيمة النسب ، فان دعبلاً يقدم لنا القاضي ابن أبي داؤد على هذا النحو :

ان هذا الذي داؤد أبوه ... واياد قد أكثر الأنباء

ساحقت أمه ولاط أبوه ... ليت شعري عنه فمن أين جاء

جاء من بين صخرتين صلودين ... عقامين ينبتان الهباء

لاسفاح ولا نكاح ولا مـــا يوجب الأمهات والآبـــــاء(١٠٠)

ان القاضي في النص الأول عديم الأهلية فقرار السلطة هو الـذي منحه هـذا المنصب الكريم الذي لوثه باعتلائـه ، فهـو كلـب !! ويسـتهدف النـص الثـاني القاضي باعتباره دعياً ، والاعتبار الاجتماعي يرفض أمثال هـذا القـاضي الـذي لاينحدر من أصـل معروف . وكـلا النصـين يقعـان في الـذروة مـن التحريـض السياسي ضد ركن من أركان مؤسسة الخلافة ، العامرة بالخراب .

الوالي :

تعمد السلطة العباسية على وجه الخصوص الى تولية الأشخاص المقربين علـى أمصار خارج الحدود . ونلحـظ أن ولايـة الأمصـار اسـتأثر بهـا فيمـا بعـد مـن يستطيع تقديم الرشوة ثانيا ومن هـو قريـب مـن صناعـة القـرار الـذي لم يكـن عباسيا خالصاً ، بل كان أجنبياً ، فارسياً ، أو تركياً ، أو من يرضى عنـه هـذان العنصران اللذان كانا هما الخليفة الفعلـي ، كمـا هـو الحـال في عهـد البرامكـة ومن تلاهم .

كان المطلب بن عبدا لله الخزاعي والي مصـر فيقدمـه دعبـل الخزاعـي أنـه ذو سيرة سيئـة رديئـة في هـذا القصـر النـائي البعيـد ، فهـو جبـان وقـت الحـرب ، يصرف أبناء المسلمين اليها ثم يولي هارباً بل انه يقودهـم الى الهلكـة ، لايصمـد لعدو ولا يثبت ساعة لقاء ، بل ان شـعاره عنـد الوغـى هـو الضيحـة بـالانهزام والدعوة للاستسلام :

فله في مصر تاريخ حافل من المخازي :

تعلق مصر بك المخزيـــات	وتبصق في وجهك الموصـل
ويوم السراة تحسيتهـــــا	يطلب لدى مثلها الحنظـل
توليت ركضاً ، وفتياننــــا	صدور القنا فيهم تعســل
اذا الحرب كنت أميراً لهــا	فحظهم منك أن يقتلـــوا
فمنك الرؤوس غداة اللقــا	وممن يحاربك المنصـــــل
شعارك في الحرب يوم الوغى	اذا انهزموا عجلوا عجلوا

فأنت لآولهم آخـــــــر وأنت لآخرهـــــم أول(١٠١)

ووال مثل هذا غير جدير بالولاية ، لأنه يفقد الشروط الموضوعة لها . ويظهـر أن هذا الوالي المهجو قد كثرت عاداته الحربية الآيلة للاندحـار . ولعل الكتابـة تستأثر بعدة نصوص شعرية هجا بها دعبل الكاتبين في هذا العصر فيكون قد ألم بالمناصب الخطيرة أو بـالأحرى يكـون قـد تنـاول مؤسسـة السـلطة مـن خـلال مفرداتها البارزة .

الكاتب :

اشتهر أشخاص بأعيانهم كتاباً في هذا العصر كمحمد بن عبدالملك الزيات ، كما اشتهرت أسراً بأعيانها في الكتابة كأسرة الحسن بن وهـب . ولأن هذيـن المعطيين على هذا الصعيد لم يمثلا هذه المؤسسة باعتبـار الفـن الكتـابي بقـدر مـا مثلاها من حيث نفوذ السلطة ، فان شعر المعارضة السياسية قد طالهما ، وأحـد هؤلاء الشعراء الذين أسهموا في ذلك شاعرنا دعبل بن علي الخزاعي . وسرف نلحظ أن السياق العام لهجاء الكتاب هو وصفهـم بـالانحراف الجنسـي ، يقـول دعبل يهجو بني وهب :

اذا رأيت بني وهب بمنزلــــة لـم تدر أيهم الأنثى من الذكر

قميص أنثاهم ينفذ من قبــــل وقميص ذكرانهم تنفذ من دبر

محنكون عن الفحشاء في صغر محنكون عن الفحشاء في كبــــر

محنكون ولم تقطع تمائمهـــــــم مع الفواطم والدايات بالكبـــر(١٠٢)

فالشـاعر يلجـأ لاسـتخدام التضمين في سـبيل أن يكسـب هجـاءه فعاليـة وسخرية، فذلك أبلغ في الهجاء وأمعن في تركيز المعنى ، فهو هنا يشير الى قصـة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز .

كما يهجو الوزيـر الكـاتب الـذي وزر للمـأمون أبـا عبـاد ، ثـابت بـن يحيـى الرازي بقوله :

أولي الأمور بضيعة وفســـاد أمر يدبره أبو عبــــــاد

خرق على جلسائه ، فكأنهم حضروا لملحمة ويوم جـلاد

سيطوا على كتابه بدواتـــــه فمضمخ بدم ، ونضخ مداد
وكأنه من دير هرقل مفلـــت حرد يجر سلاسل الأقيـــاد
فاشدد أمير المؤمنين وثاقـــه فأصح منه بقية الحـــــداد(١٠٣)

وفي الكناية الواردة هنا مالا يحتاج الى مزيد توضيح . ويبالغ دعبل في هجاءه ابن وهب حين يجرده عن الأمانة الى درجة بالغة في العبث :

الا أبلغ أمير المؤمنين محمـــــــداً رسالة ناء عن جنابيه شاحـط
بأن ابن وهب حين يشجعج شاجح يمر على القرطاس أقلام غالط
أحب بغال البرود حباً مداخـــلاً وعاد الى غشانها في المرابـــط
ولولا أمير المؤمنين لأصبحـــــت أبور بغال البرد حشو الخرائط (١٠٤)

ان ذكر أمير المؤمنين هنا وفي النص الـذي سـبق هـو مدعـاة للسـخرية بأمـير المؤمنين بالدرجة الأولى ، وليس من قبيل التسليم بوضعه القـانوني ، فذلـك مـا ينكره دعبل نكراناً شديداً . على أمير المؤمنين اذن أن يتدخل للحد من ممارسـة هو مسؤل عنها في المقام الأول ،بوصف ابن وهب أحد كاتبين الخليفة أما محمـد بن عبدالملك الزيات ، فاننا نجد الشاعر وهو يخاطبه يعرض بـه تعريضـاً واضحـاً بجمع المال ، ولقد كان مشهوراً في ذلك بين أفراد المجتمع مما عرضــه للمصـادرة في فترة لاحقة ، لقد دخل عليه دعبل وفي يد الزيـات طومـار وقـد جعلـه على فمه.. فقال :

يامن يغلب طوماراً ويلثمـــــه ماذا بقلبك من حب الطوامير
فيه مشابه من شيء تستر بـــه طولاً بطول وتدويراً بتدويـــر
لو كنت تجمع أموالاً كجمعكها اذن جمعت بيوتاً من دنانيـــر(١٠٥)

أحب دعبل الخزاعـي البيـت العلـوي حبـاً جمـاً ممـا يجعلـه في مصـاف الشـيعة المتقدمين . ولقد سبق أن قلنا ان هذا الشاعر كان يمكن أن يحظى بالجاه والمـال، والمنزلة الكبرى في بلاط العباسيين ان كان هذا الاخلاص قـد انصـرف اليهـم ، أو أن الشاعر ولى وجهه نحوهم . ولكنه آثـر المبـدأ في زمـن كـانت السـلطة في

أوج بطشها بأبناء البيت العلوي ومن والاهم . لذلك فان الشاعر ما كان يجهل الثمن الذي يمكن أن يدفعه في سبيل هذا الحب لآل البيت العلوي .

كان دعبل بحق شاعر البيت العلوي ، كما كان مروان بن أبي حفصة شاعر البيت العباسي ، بل ان دعبل ينقم على مروان لهذا السبب ، اذ يقول فيه :

قل لابن خائنة البعول   وابن الجوادة والبخيل

ان المذمــــة للسوطي   هي المذمة للرســـول

أمودة القربى تحـــــا   ولها بذم مستحيــــل ؟

أتذم أولاد النبـــــي   وأنت من ولد النفول(١٠٦)

لقد فرغ مروان بن أبي حفصة للدعاية للعباسيين ، وسخر أشعاراً كثيرة للدفاع عن حقهم الخلافي ، بوصفهم الخلفاء الشرعيين ، من مثل قوله يخاطب بني علي:

فأردتم ابطالها

نزلت من الأنفال آخر آية   جبريل بلغها النبي فقالها

كما انه استخدم المنطق الفقهي ، اذ يحجب العم المرأة فريضة :

ماللنساء على الرجال فريضة   نزلت بذلك سورة الانعام

ولقد سجل تاريخ الأدب أن مروان استحق على شعره الدعائي في العباسيين مالاً كثيراً . ومن المصادفة العجيبة أن نهاية الشاعرين واحدة نتجت عن المبدأ الذي يحمله كل منهما . واذا كان مروان يسعى للتكسب فان دعبل كان – فيما يبدو – يجعل من حب العلويين الهدف الأول ويمكننا استخلاص الواقع من ذات الأبيات التي هجا بها دعبل زميله مروان بن أبي حفصة ، فدعبل – على مذهب الشيعة – يعتقد أن علي بن أبي طالب هو وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم في خلافته المسلمين من بعده وأن ذم علي كرم الله وجهه هو ذم لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، كما أنه يعتقد أن أولاد علي وأسرته هم أولو القربى الذين عنتهم الآية الكريمة في قوله تعالى (قل ما أسألكم عليه من أجر الا المودة في القربى) ويعرض الشاعر دعبل الخزاعي بالعباس بن عبد المطلب الذي يتشيع له مروان بن أبي حفصة بقوله :

أتذم أولاد النبي وأنت من ولد النفول ؟

قلنا ان الهدف الأول لدعبل كان حب العلويين قبل المال ، يقول :

في حب آل المصطفى ووصيتـــه

شغل عن اللذات والقينـــات

ان النشيد بحب آل محمد أزكى ، وأنفع لي من القنيات

فاحش القصيد بهم وفرغ فيهم

قلباً ، حشوت هواه باللذات

واقطع حباله من يريد سواهم

في حبه تحلل بدار نجاة(١٠٧)

فحب آل الرسول وهم العلويين شغل عن كل شغل من لذائــذ الحيـاة . وان القول الجميل فيهم أنفع وأبقى من العرض الزائل . ويدعو الشاعر الى أن يمتـلأ القلب بحبهم ، وأن تقطع آصرة غيرهم ، أولئك الذين لايريدونهم ، كي ينـال الانسان بالفوز بدار النعيم . على أن الشاعر كان ينال مكافأة بعـض الموسـرين من العلويين ، فلقد منحه أبو الحسن على بن موسى الرضـا مبلـغ عشـرة آلاف درهم ، لقاء تائيته الخالدة في آل علي ، ولقد كان رفضها دعبلاً قـائلاً مـا هـذا قدمت (ورفض أخذها ، وطلب الى الخادم أن يهب له الامام ثوبـاً مـن ثيابـه ، فأنفذ اليه الامام بجبة خز مع المبلغ وقال له : خذ هــذه الصـرة فـانك سـتحتاج اليها ، ولا تراجعني فيها (١٠٨) .

نستطيع أن نلخص الموقف الشعري الـذي صاغـه دعبـل في العلويـين في أنـه موقف استدعاء تاريخي لما حل بهم من مآسي ونكبات وهذه الفكـرة اسـتأثرت باهتمام الشاعر لما تحمله من مأساة أما الأمر الآخر فهو تجسـيد شـخصية سـلف العلويين وهو الامام علي بن أبي طالب فمن خلال تحليل النصوص نسـتطيع أن نتبين طغيان شخصية الامام علي على الشاعر بحيث يتجسد لنـا انسـاناً يقـترب من الأسطورة ، كما هو الشأن عند كثير مـن الذيـن يتشـيعون لـه . أمـا الأمـر

المهم الذي لم ينتبه له كثير من الباحثين فهو أن دعبل الخزاعي كـان متشـيعاً الى حد الغلو ، وهو ما ستقف عنده في نهاية الحديث .

<u>شخصية الامام علي :</u>

يؤكد دعبل أن الامام علي هو الوارث الحقيقي للخلافة ، ولكـن حـال دون ذلك تآمر أصحاب السقيفة :

وما نال أصحاب السقيفة امرةً

بدعوى تراث ، بل بأمر تراث

ولو قلدوا الموصى اليه زمامهـــا

لزمت بمأمون من العثرات

أخا خاتم الرسل المصفى من القذى

ومفترس الأبطال في الغمرات (١٠٩)

ويمضي في نظم عقيدة الشيعة نظماً شعرياً في هذا الامام الجليل :

ألا انه طهر زكـــي مطهــــــر	سريع الى الخيرات والبركـات
غلاماً وكهلاً ، خير كهل ويافــع	وأبسطهم كفاً الى الكربـــات
وأشجعهم قلباً ، وأصدقهم أخــاً	وأعظمهم في المجد والقربــات
أخو المصطفى،بل صهره ووصيــه	من القوم ، والستار للعورات
كهارون في موسى على رغم معشر	سفال لئام شقق البشــــرات
فقال : الا من كنت مولاه منكــم	فهذا له المولى بعد وفاتـــي
أخي ووصي ، وابن عمي ، وزادتي	وقاضي ديوني في جميع عداتي(١١٠)

فهذا النص ليس الاتضمينا لأحاديث نبوية شريفة ويرى الشـيعة أن الرسـول قالها في علي بن أبي طالب وأهل بيته .

ولا يقف دعبل عند الأحاديث وحسب كتلـك الـتي تنـوه بفضـائل الامـام ، ولكنه يقف عند المواقف التأريخية ، فيشيد بما حدث من بطولـة فـذة في ميـادين الفداء والجهاد :

وصي محمد ، بأبي وأمي ، وأكرم من مشى بعد النبي
سنان محمد في كل حرب اذا نهلت صدور السمهري
وأول من يجيب الى براز اذا زاغ ، لكمي عن الكمي(١١١)

وهو هنا يشير الى ماحدث بين المسلمين والمشركين في معركة الخندق عندما انتدب الرسول عليه الصلاة والسلام الامام علي لبراز عمرو بن ود العامري .
ولعل الشخصية الثانية التي تلقى تنويهاً كبيراً هي الحسين بن علي بن أبي طالب ولكن في عرض تراجيدي يفيض أسىً ولوعة ، فهو هنا يعرض لنا ما حل بالحسين من خلال هذه الاثارة :

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً وقد مات عطشاناً بشط فرات
اذن للطمت الخد فاطم عنده وأجريت دمع العين في الوجنات (١١٢)

والشاعر يذكرنا بما يفعله بعض الشيعة يوم عاشورا من لطم للخدود وارسال للدموع تجري منهملة بهذه المناسبة . والشاعر يحمل المسلمين ما حل بالحسين في كربلاء :

رأس ابن بنت محمد ووصيه ياللرجال على قناة يرفع
والمسلمون بمنظر وبمسمع لاجازع من ذا ، ولامتخشع
أيقظت أجفانا وكنت لها كرى وأنمت عيناً لم تكن بك تهجع
كحلت بمنظرك العيون عماية وأصم نعيك كل أذن يسمع
ما روضة الا تمنت أنها لك مضجع،ولخط قبرك موضع(١١٣)

والمصائب بعد آل البيت تهون

اذا عظمت محنة عن عزاء فعادل بها صلب زيد تهن
وأعظم من ذاك قتل الوصي وذبح الحسين وسم الحسن(١١٤)

ويرثي الشاعر الامام الرضا علي بن موسى رثاءً حاراً :

ياحسرةً تتردد وعبرة ليس تنفد
على علي بن موسى بن جعفر بن محمد
قضى غريباً بطوس مثل الحسام المجرد(١١٥)

ولقد بكت الرضا الأرض بما فيها الجبال الشامخة والسماء بما فيها من نجوم :

ألا ما لعيني بالدموع استهلت   ولو فقدت ماء الشئون لقرت

على من بكته الأرض واسترجعت له

رؤوس الجبال الشامخات وذلت

وقد عولت تبكي السماء لفقده   وأنجمها ناحت عليه وكلت

رزينا رضي ا لله سبط نبينـــــا   فأخلفت الدنيا له وتولـت

فنحن عليه اليوم أجر بالبكـــاء   لمرزئة عزت علينا وجلـت

وما خير دنيا بعد آل محمـــــد   الا لا بنا لها اذا اضمحلت(١١٦)

لقد ذهب دعبل يبكي أهل البيت بكاءً مراً مما حل بهـم مـن مصـائب ، فهـو تارة يلوم المسلمين على ما فرطوا في جنب ا لله فيهم كما مر في نص سابق ، بل ويعنفهم تعنيفاً ويلومهم لوماً كقوله هنا :

يا أمة السوء ما جازيت أحمد عن

حسن البلاء على التنزيل والسور

خلفتموه على الأبناء حين مضـى

خلافة الذئب أبقار ذي بقر(١١٨)

وتارة يذم الدهر ويطلب اليه أن ينقبض انقباضاً تعاطفاً مع ما حل بالعلويين :

لأضحك ا لله سن الدهر ان ضحكت

وآل محمد مظلومين قد قهروا

مشردون نفوا عن عقر دارهـــــم

كأنهم قد جنوا ماليس يغتفـــر(١١٩)

تائية دعبل :

تمثل قصيدة دعبل (التائية) في العلويين وثيقـة تجمـع بـين التـاريخ والفـن . وان كان الفن الشعري يصلح أن يكون تاريخـاً ، فـان هـذه القصيـدة يمكـن أن تكون تاريخاً . فلقد حاول دعبل أن يصبغ الواقع بصبغـة الفـن المؤثـر العميـق . لقد أفردت دراسة خاصة لهذه القصيدة في موضع آخر من المنشورات اليمنية ،

والذي أغراني بالدراسة عبقرية القصيدة من الناحية الفنية . فالأداء الفني يقوم بعملية تطهير فاعلة كما هو شأن الفن الصادق .

لقد عبر الشاعر الخزاعي دعبل في أكثر من موضع عن تعاطفه مع العلويين ، غير أنه في هذه القصيدة استطاع أن يعبر بأسلوب ملحمي شبه متكامل .لقد انطلق الشاعر في صوغ قصيدته من ناحية تاريخية ، اذ قام برصد الأسباب التي جعلت الظروف تتكالب على العلويين فأرجعها الى عوامل دنيا تتعلق بالصراع على الحياة الدنيا ، وبامكاننا أن نلخص أفكار القصيدة بأنها تتمحور حول الأمور الآتية :

- النقمة على الأمويين ، الذين يطلق عليهم الشاعر اسم أبناء هند ، باعتبارهم اغتصبوا الخلافة دون أي مبرر من رحم أو قربى .
- تآمر الذين حضروا السقيفة على الامام علي بن أبي طالب ، ومصادرة الخلافة عليه مع أنه أحق بها وأهلها .
- فضل الامام علي بن أبي طالب كرم ا لله وجهه ومكانته في الاسلام ومنزلته الأسرية من النبي عليه الصلاة والسلام .
- الحديث عن ديار آل البيت والتي أصبحت خراباً مما حل بهم من قتل وتشريد وهي أماكن طاهرة انطلقت من جنباتها الأذكار والصلوات .
- رسم صورة ضافية لمقاتل العلويين .
- رسم صورة موازنة للعلويين وغيرهم من الطرف النقيض من حيث مستوى الحياة المادية والمعنوية .

حول هذه المحاور نسج دعبل الخزاعي قصيدته التائية . والأمويون من الأب هم السبب المباشر للمأساة التي حلت بآل البيت :

وهذا وما أدت سمية وابنهـــا	أولو الكفر في الاسلام،والفجرات
هم نقضوا عهد الكتاب وفرضه	ومحكمة بالزور والشبهـــات
ولم تك الا محنة كشفتهـــم	بدعوى ضلال من هن وهنـــات
تراث بلا قربى ،وملك بلا هدى	وحكم بلا شورى ، بغير هـداة(١٢٠)

أما السبب الذي مثل مقدمة منطقية لما حل بالعلويين ، فهي بيعة السقيفة :

وما سهلت تلك المذاهب فيهم　　على الناس الا بيعة الفلتات
وما نال أصحاب السقيفة امرة　　بدعوى تراث بل بأمر تراث (١٢١)

وكان علي هو الخليفة لأنه وصي رسول الله ولأنــه صاحب المؤهـلات الـتي تمكنه من ذلك:

ولو قلد الموصى اليه زمامهــــا　　لزمن بمأمون من العثـــرات
أخا خاتم الرسل المصفى من القذى　　ومفترس الأبطال في الغمــرات
فان جحدوا كان الغدير شهيــدة　　وبدر وأحد شامخ الهضبــات
وآي من القرآن تتلى بفضلــــه　　واثارة بالقوت من اللزبـــات
مناقب لم تدرك بكيد ، ولم تنـــل　　بشيء سوى حد القنا الذريات
نجي لجبريل الأمين ، وأنتـــــم　　عكوف على العزى معاً ومناة(١٢٢)

أما هذه الأماكن التي اختص بها هؤلاء العلويـون فهي منـازل طـاهرة لأنهـا لابست هؤلاء الأطهار ، فقد كانت أماكن للذكر والعبادة والصلاة :

مدارس آيات خلت من تلاوة　　ومنزل وحي مقفر العرصات
ديار علي والحسين وجعفـــر　　وحمزة والسجاد ذي الثفنات
ديار لعبدا لله والفضل صفـوة　　نجي رسول ا لله في الخلــوات
منازل قوم يهتدي بهداهـــم　　فتؤمن منهم زلة العثـــرات
منازل كانت للصلاة وللتقـى　　وللصوم والتطهير والحسنـات
منازل جبريل الأمين يحيهـــا　　من ا لله بالتسليم والرحمـــات
منازل وحي ا لله معدن علمــه　　سبيل رشاد واضح الطرقـات
ديار عفاها جور كل منابـــذ　　ولم تعف للأيام والسنـــوات(١٢٣)

وينتقل الشاعر بالحديث الى حيث مقاتل العلويين ، فيجدها في أماكن كثيرة :

قبور بكوفان وأخرى بطيبة　　وأخرى بفخ نالها صلواتي
وقبر بأرض الجوزجان محله　　وقبر بباخمر العرى الغربات
وقبر ببغداد لنفس زكيـــة　　تضمنها الرحمن في الغرفات

نفوس لدى النهرين من أرض كربلا

معرسهم فيها شط فرات

توفوا عطاشاً بالفرات فليتني

توفيت فيهم قبل حين وفاتي

لهم كل حين نومة بمضاجع لهم في نواحي الأرض مختلفات

سأبكيهم ما حج لله راكب وما ناح قمري على الشجرات (١٢٤)

أما العلويون الأحياء فان حياتهم في غاية الحرمان والتعاسة موازنة بالآخرين من أعدائهم ، فخيراتهم يتقاسمها أعداؤهم :

أدى فيئهم في غيرهم مقتسما وأيـدهم من فيئهم صفرات

فكيف أداوي من حوىً ؟ والجوى

أمية أهل الفسق والتبعات

بنات زياد في القصور مصونـة وآل رسول الله في الفلوات

ديار رسول الله أصبحن بلقعاً وآل زياد تسكـن الحجرات

وآل رسول الله تدمى نحورهـم وآل زياد آمنوا السربـات

وآل رسول الله تسبى حريمهم وآل زياد ربة الحجـلات

وآل رسول الله نحق جسومهم وآل زياد غلظ القصـرات

اذا وتروا مدوا لي واتريهـم أكفا عن الأوتار منقبضـات(١٢٤)

عقيدة دعبل :

ما من شك أن عقيدة دعبل عقيدة شيعية ، فهـو ليـس مجرد مـادح لآل البيـت يعدد مناقبهم ويذكر مآثرهم ، ولكنه يعتنـق في حبهـم عقيـدة ذهبت في الحيـاة السياسية مذهباً له فكره وآراؤه . فدعبل يؤمن بهذه النظرية التي تقول بالرجعة وهي نظرية روج لها الشيعة رواجاً كبيراً ، حيث يخرج من آل البين بعـد مـوت امام يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً .

خروج امام لامحالة خارج

يقوم على اسم الله والبركات

يميز فينا كل حق وباطل

ويجزي على النعماء والنقمات

فيا نفس طيبي ، ثم يا نفس أبشري

فغير يعيد كل ما هوات

فان قرب الرحمن من تلك مدتي

وأقرب من عمري بطول حياتي

شفيت ، ولم أترك لنفسي رزية

ورويت منهم منصلي وقناتي (١٢٥)

بل يذهب في تشيعه مذهباً غالياً ، فالامام الذي يحبه ويتشيع له يعلم ما هو كائن ، وما سيكون ، وهذا لعمر الله جرأة على الله وسوء أدب :

امام هدى لله يعمل جاهداً ذخائره التقوى ونعم الذخائر

امام سمى للدين حتى أثاره وقد مح عنه الرسم والرسم واثر

عليم بما يأتي ، أبي موفق بير لأهل الجور،للحق ناصر(١٢٦)

ان دعبل يدخر حب آل البيت ليوم الحساب لأنه عمل صالح :

فاني من الرحمن أرجو بحبهم حياة لدى الفردوس غير تبات

وآل البيت هم الذين يشفعون له يوم القيامة :

شفيعي في القيامة عند ربي محمد والوصي مع البتول

وسبطا أحمد وبنو أبيه أولئك سادتي آل الرسول(١٢٧)

لعل الباحث قد تمكن من ابراز دعبل مثلاً ممتازاً لشعر المعارضة الشعرية على الصعيد السياسي . فهو واحد من الشعراء في تاريخ الأدب العربي الذي نذر فنه في سبيل ما يؤمن به في الحياة . والحقيقة أنه ايمان صعب في زمن كانت المداهنة ، والحرص على الدنيا بشتى الطرق هي القيمة العليا . لقد آمن دعبل الخزاعي أن الحياة بلا موقف هي حياة لا تليق بالانسان الكريم ، فكان من الرواد الذين اعتنقوا مبدأ الفن موقفاً مهما كانت التضحيات ، وفعلاً كانت

التضحية كبيرة وخطيرة ، فلقد دفع حياته ثمناً لما يؤمن به وذهب كأحد هؤلاء الرجال الذين يجاهد بما يملك وحسب امكاناته فرحم الله دعبلاً .

الخصائص الفنية في شعر المعارضة السياسية :

يمكننا أن نلخص الخصائص الفنية في شعر المعارضة السياسية بما يأتي :

– أولاً : أن هذا الشعر يتخذ لغة بسيطة تخلو من التعقيد والتعقر يفهمها العامة والخاصة فهي أقرب الى اللغة الشعبية ، وبديهي أن تكون هذه اللغة هي وسيلة الأداء لهذا الشعر لأن الغرض الرئيسي هو التأثير والاقناع من ناحية ، والتحريض على السلطة من ناحية أخرى .

– ثانياً : أن الشاعر يميل الى السخرية بالحاكم وهو في سبيل ذلك يعمد الى الصورة لتكون المادة الأولى في اثارة هذه السخرية ، كقول ابن الجماز يصف القاضيين الأعورين اللذين ولا هما يحيى بن أكثم القضاء :

هما اقتسما العمى نصفين قدراً كما اقتسما قضاء الجانبين

وتحسب منهما من هز رأساً لينظر في مواريث ودين

كأنك قد وضعت عليه دناً فتحت بزاله من فردوعين

– ثالثاً : أن هذا الشعر يتخذ الواقع وسيلة للتحريض كقول الشاعر يصف الخليفة المستعين ، وهو ما يؤيده التاريخ :

خليفة في قفص بين وصيف وبغا

يقول ما قالا له كما يقول الببغا

وكقول الشاعر يصف هؤلاء القضاة الظالمين الذين يتخذون من العبادة وسيلة لخداع الناس :

لازموا المسجد ضلالاً من الأمر الرشيد

وتراهم للوصايا وعدالات الشهود

في مراء وجدال وقيام وقعود

وخشوع وابتهال وركوع وسجود

وعلى القسمة أضرى من تماسيح الصعيد (١٣٠)

- رابعاً : صدق التجربة الفنية ، والتجربة الصادقة تنبع من عبقرية تقـدر علـى التأثير من خلال المهارة الفنية الملتبسة بصدق الواقع وهذا مـا يمثلـه دعبـل ممثـل المعارضة في بحثنا هذا ، فانه ليس بامكان أحد أن لا يتملكه الحزن والأسى على ما حل بآل البيت من مصائب متلاحقة . حقاً لقد ذكر هذه الوقـائع التـاريخ ، ومهما يكن في هـذا التـاريخ مـن نقـص أو زيـادة مـن مبالغـة أو تقصـير ، فـان الصياغة الشعرية جسدت هذه الوقائع بمبالغة فنية مقبولة ، مـن خـلال اسـتثارة المروءة في نفس الانسان المسلم ، واقناعه بأن كثيراً من الناس يتجاوزون القيـم الفاضلة في سبيل اغراء الحياة وسطوة سلطانها ، وأي نص من شعر دعبل بهـذا الخصوص يمثل هذه التجربة .

- خامسـاً : أن شـعر المعارضـة يركـز بالدرجـة الأولى علـى أن الحـاكمين غـير شرعيين ، وأنهم غير جديرين بالحكم والسلطان . وأن مؤسسـة الحكـم ليسـت الا عصابة تسطو على مقدرات الأمة وتعبث بامكاناتها .

- سادساً : تتلاشى شخصية الشاعر ولا تكاد تبين ، الأمر الذي يوحي بأن هذا الشعر قد صدر عن وعي جماعي ، بل انه تعبير عن مشاعر الأمة جميعها .

- سابعاً : يغلب على هذا الشعر عدم التكلف ، فكأنه منشـور سياسـي منظـوم في اطار موسيقى شعبية متداولة .

وبا لله التوفيق .

مراجع البحث

١- تاريخ الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، ط الثالثة ج٧ / ٤٧٩ وما بعدها وانظر قصة مراسلة أبي سلمة الخلال للعلوين في الفخري : محمد بن علي بن طباطبا ، في الآداب السلطانية ، دار صادر ، دون تاريخ ، ص ١٥٤، ١٥٥

٢- الطبري ج ٤٩٢/٧

٣- نفسه ج٧ /٤٩١

٤- الفخري ص / ١٥٦

٥- نفسه ص /١٥٦

٦- الطبري ج٧ / ٥٦٤ الفخري ص / ١٧٦،٧

٧- الطبري ج ٧ / ٥٦٤

٨- انظر نص هذه الرسائل في الطبري ج٧ / ٥٦٦ وما بعدها .

٩- الطبري ج٧/ ٦٠٢ .

١٠- نفسه ج٧ / ٦٠٣،٦٠٢ .

١١- نفسه ج٧ / ٥٦٠

١٢- مروج الذهب : أبو الحسن المسعودي ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، المكتبة الاسلامية ، بيروت . دون تاريخ ج٣ / ٣٣٦ ، ٣٣٧

١٣- نفسه ج٣ /٣٣٧ .

١٤- مقاتل الطالبين : أبو الفرج الأصفهاني ، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر، عيسى البابي الحلبي . مصر ١٩٤٩ ، ص ٢٢٩ .

١٥- نفسه ص / ٣٠٤ .

١٦- طبقات الشعراء : عبدالله بن المعتز ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ط الرابعة ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ وانظر اخباره في ج ١٢ / ١٩ وما بعدها .

١٧- نفسه ج ١٢/ ٢٠

١٨- طبقات الشعراء ص /٢٤٦

١٩- انظر في ذلك مروج الذهب ج٣ / ٣٤٨ .

٢٠- نفسه ج٣ / ٣٨٩ .

٢١- الطبري ج٨ / ٣٠٠.

٢٢- مروج الذهب ج٣ / ٣٩١ .

٢٣- نفسه ج٣ / ٣٩١ .

٢٤- نفسه ج٣ / ٣٩١ .

٢٥- نفسه ج٣ /٣٩١ .

٢٦- نفسه ج٣ / ٣٩١ .

٢٧- نفسه ج٣ /٣٩١ .

٢٨- مروج الذهب ج٣ / ٣٩١ .

٢٩- نفسه ج٣ / ٣٩٢ .

٣٠- شعراء عباسيون : د. يونس أحمد السامرائي ، محمد بن وهب الحميري وآخرون ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ط الأولى ، ص ٩٤

٣١- نفسه ، أبو علي البصير وآخرون ، ص / ٢٩٤ .

٣٢- نفسه ص / ٤٣٧ .

٣٣- نفسه ص / ٤٥٣ .

٣٤- نفسه ص / ٤١٨

٣٥- نفسه ص / ٤٥٦

٣٦- انظر كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري - مطبعة الحلبي وأولاده بمصر ط الثانية ، ١٩٨٠ م .

٣٧- شعراء عباسيون ، ص ٣٩٥ ، ٣٩٦

٣٨- الفخري . ص / ١٨٤ ، ١٨٥

٣٩- انظر الطبري ج٩ ، أخبار الأمين والمسعودي ، مروج الذهب ج٣/٣٩٧ وما بعدها

٤٠- الطبري ج ٨ /٥٠٠

٤١- ديوان دعبل الخزاعي : عمران الصاحب الدجيلي

٤٢- أشعار أولاد الخلفاء : أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، دار المسيرة ، بيروت المجلد الثالث ، ط الثالثة ٨٢ م ص / ١٧

٤٣- مروج الذهب ج٤ /٢١ .

٤٤- نفسه ج٤ / ٢٢ .

٤٥- نفسه ج ٤ / ٢٣ .

٤٦- ديوان دعبل ص /١٠٣ .

٤٧- الطبري ج٩ / ٣٥٠ .

٤٨- انظر ديوان البحتري بتحقيق حسن الصيرفي ، ط دار المعارف القاهرة .

٤٩- ديوان ابن الرومي ، بتحقيق حسين نصار ، ط دار الكتاب ١٩٧٣ ، ج٣ / ١١٤

٥٠- مروج الذهب ج٤ /١٢٣ .

٥١- نفسه ج٤ / ١٤٥ .

٥٢- نفسه ج٤ /١٤٥ .

٥٣- تاريخ الخلفاء : جلال الدين السيوطي ، المكتبة التجارية الكبرى ، دار مصر للطباعة ط رابعة ٦٩ م ، ص /٦٣ .

٥٤- الفخري ص / ٢٣٣ .

٥٥- نفسه ص / ٢٣٤ .

٥٦- مروج الذهب ج٤ /٨٨

٥٧-

٥٨- الطبري ج٩ /١٦٠

٥٩- اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري : قحطان رشيد التميمي ، دار المسيرة ، بيروت ، بدون تاريخ ص ، ١٥٩

٦٠- الطبري ج٩ /١٩ .

٦١- اتجاهات الهجاء ص /١٥٧ .

٦٢- نفسه ص / ١٥٧

٦٣- نفسه ص /١٥٧

٦٤- نفسه ص / ١٥٨

٦٥- تاريخ الخلفاء ص /٢٦٥

٦٦- نشوار المحاضرة / القاضي أبو علي الحسن بن علي التنوخي ، تحقيق عبود الشالجي ط ١٩٧٣ ، ج٥ / ١٠١ ، ج٦ / ١١٧

٦٧- نفسه ج٦ /١١٧

٦٨- طبقات الشعراء : عبدالله بن المعتز العباسي ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، دار المعارف ط الرابعة بدون ص /١٢١

٦٩- اتجاهات الهجاء ص / ١٦٤ .

٧٠- أخبار الشعراء المحدثين ج٢ص /١٣٥ .

٧١- اتجاهات الهجاء ص /١٦٩ .

٧٢- نفسه ص /١٧١

٧٣- نفسه ص / ١٦٦

٧٤- ضحى الاسلام : أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية ، ط الثامنة ، بدون تاريخ ج١ /١٧٠، ١٧١ .

٧٥- أبو العيناء الأديب البصري الظريف : د/ ابتسام مرهون الصفار ، ص ٨٩ ، ٩٠ .

٧٦- نفسه ص ٨٩ ، ٩٠ .

٧٧- الأغاني ج١٨ /٢٩ .

٧٨- نفسه ج١٨ /٣١ .

٧٩- نفسه ج ١٨ /٣٣

٨٠- عاصر البحتري بطبعة خلفاء عباسيين مدحهم ونال جوائزهم .

٨١- أغاني ج ١٨/ ٣٧ .

٨٢- ديوان دعبل الخزاعي ٢٨

٨٣- ديوان دعبل ص ٢٩ .

٨٤- نفسه .

٨٥- انظر أخبار دعبل في الأغاني ج ١٨ /٣٧ وما بعدها .

٨٦- ديوان دعبل ، المقدمة .

٨٧- ديوان دعبل ص / ٢٤٩ .

٨٨- الأغاني ج ١٨ / ٥٧ .

٨٩- الأغاني ج ١٨ /٥٧ .

٩٠- ديوان دعبل ص / ١٩٧

٩١- نفسه ص / ٢٤٤، ٢٤٥ .

٩٢- نفسه ص / ٢١٩

٩٣- نفسه ص / ١٠٣

٩٤- أغاني ج ١٨ / ٤٠

٩٥- ديوان دعبل ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

٩٦- نفسه ص ١٦٨ .

٩٧- مقدمة ابن خلدون : عبدالرحمن ابن خدون ، دار العودة بدون تاريخ ج١ /٣٥٣ .

٩٨- مروج الذهب ج٤ /٢٣ .

٩٩- ديوان دعبل ص / ٢٣٣، ٢٣٤ .

١٠٠- أغاني ج ١٨ / ٤١

١٠١- ديوان دعبل ص / ٢٥٤ ، ٢٥٥

١٠٢- ديوان دعبل ص /٢٠٧ .

١٠٣- ديوان دعبل ص / ١٨١، ١٨٢ .

١٠٤- ديوان دعبل ص /١٢٣ .

١٠٥- ديوان دعبل ص /٢٠٥ .

١٠٦- ديوان دعبل ص/٢٦٣ .

١٠٧- ديوان دعبل ص / ١٤٦ .

١٠٨- ديوان دعبل ص /٦٠ .

١٠٩- ديوان دعبل ص / ١٢٨ ، ١٢٩ .

١١٠- ديوان دعبل ص / ١٤٧ ، ١٤٨

١١١- ديوان دعبل ص / ٣١٤ .

١١٢- ديوان دعبل ص / ١٣٥

١١٣- ديوان دعبل ص / ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

١١٤- ديوان دعبل ص / ٣٠٣ .

١١٥- ديوان دعبل ص /١٨٥ .

١١٦- ديوان دعبل ص / ١٤٩ .

١١٧- ديوان دعبل ص / ١٩٦ ، ١٧٩ .

١١٨- ديوان دعبل ص / ١٩٦ ، ١٩٧ .

١١٩- ديوان دعبل ص / ١٨٦ .

١٢٠- ديوان دعبل ص / ١٢٦ ، ١٢٧ .

١٢١- ديوان دعبل ص / ١٢٧ ، ١٢٨ .

١٢٢- ديوان دعبل ص / ١٢٩ ، ١٣٠ .

١٢٣- ديوان دعبل ص / ١٣١ ، ١٣٢

١٢٤- ديوان دعبل ص /١٤٠ .

١٢٥- ديوان دعبل ص / ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ .

١٢٦- ديوان دعبل ص / ١٨٧ .

١٢٧ - ديوان دعبل ص / ٢٦٢ .

١٢٨- اتجاهات الهجاء ص / ١٧١ .

١٢٩- مروج الذهب ج ٤ / ١٤٥ .

١٣٠- اتجاهات ص / ١٦٩ .